



أحلام نرائز سنور

عبد الفتاح عبد الرحيم الجميل



أحلام نرانتزسنور

قصص

عبد الفتاح عبد الرحمن الجمل

قرائى الأعزاء .. شكراً

عبد الفتاح عبد الرحمن الجمل

عاصرت هذه المجموعة القصصية واعتصرت . بالعديد من قضايا الحياة ومشاكل مجتمع الستينات من القرن الماضى .

لقد كتبت بعض قصصها فى أجواء المعنويات المرتفعة ، وجيشان النفوس من المحيط إلى الخليج .. وطن عربى واحد .. أمة عربية واحدة ، وكتبت بعض قصصها الأخرى ، إبان قصف الطيران الإسرائيلى لمطاراتنا ، ومدننا ، وقرانا فى يونيه ١٩٦٧ م .

تلك الحرب التى شنها الصهاينة - بمباركة ومساعدة أمريكا وبريطانيا - حتى يتمكنوا من خلال الكيان الصهيونى على أرض فلسطين .. من الاستيلاء على الأراضى العربية وتبديل هويتنا . بحيث نخلع رؤوسنا ونرتدى القبعات ، ونهجر لغتنا . ونرتدى القناعات المخططة بحروف إنجليزية .

هذا عن الواقع الذى كتبت فيه الأحلام الصغيرة فماذا عن كيفية وضعها فى كتاب لقى فى حينه ما يستحقه من النقد والتحليل بأقلام من ترد على ذهني أسماءهم الآن .. الأساتذة حسن محسب ، إبراهيم فتحى ، عبد الرحمن أبو عوف ؟ .

أذكر . فى ذلك الزمن . أن الشكوى التى كان يستعملها الأصفاء والأدعياء من شباب أدباء الستينات .. هي نفس ما يدور حوله جدل اليوم .. حصار دائم حول أعمالهم .. أبواب النشر مستحياً يقف أمام نشر قصصهم ، وإن كنت أنا لم أترجع وأشتكى . إذ كنت أطلع ما أكتبه دوماً على صفحات (المجلة) و (صباح الخير) و (روزاليوسف) وغيرهما من المجلات العربية .

وبما أننا لم نكن نعيش في انعزالية منكسرة ، ولم نذهب يوماً إلى طبيب يدرّبنا على
تعاطي الأقراص المهدلة ، فقد قرر تكثيف من أدياء وشعراء المنصورة ، وعلى رأسهم
الكاتب فؤاد حجازي ، العمل على إنشاء سلسلة أدبية ، أطلق عليها (أدب الجماهير)
ساهمت في إصدار أكثر من ثمانين عملاً حتى الآن ، ما بين أشعار وقصص ، ولقد
حظيت أحلام ترانستور بأن تكون أول عمل يصدر في تاريخ هذه السلسلة .

وأنا أليس جانباً من تجربة (أدب الجماهير) . لا أهتم بالأفكار ولا بمشاريع من
كانوا مثلي شباباً . هذا كلام يسهل قوله . أهتم كثيراً بما يصعب عمله . فجميع الناس
يفكرون . يحلمون المتحمون واللامتحمون . إنما أن تتحول الأحلام إلى واقع . هذه هي
القضية .

فكيف صدر فيها حكم قضى بإطلاق عصافير الله من صدورنا ؟

انزل إلى الناس في الشارع تعرف نفسك . التواجد بينهم يثرى وجدان الأديب .
كل من نتجه إليهم بالكتابة . كنا نجلس إليهم . موظفون . عمال . فلاحون . أجراء
وملاك . مثقفون .

بمجرد ما شروحت لهم مضامين أحلامي . انفتحت أياديهم حول عنقسي بحميمية .
تناولوا من دفتر الإيصالات الخاصة باسم المجموعة أعطوني ثمنها سلفاً . قبل أن ترى
النور .

فأبى هؤلاء القراء القدامى . الشكر والعرفان . إذ لولاهم لظلمت جالسا على
أرائك أحزاني . ولما كان أحد من المهتمين بالأدب يعرفني حتى الآن .

* الطبعة الثالثة *

إهداء

إلى

العزیز فؤاد حجازی ..
یا ستینات القرن الماضي ..
حباً .. عبقا .. عطاءً أدیباً
لا ینفد

عبد الفتاح عبد الرحمن الجمل

10093.1-4



أغنية العودة

عجيب أمر هذه الحياة !!

منذ ثلاثة شهور ، فقط ، كانت تتمنى أن يرزقها الله يابن الحلال الذى
يسرها ويخلصها من العذاب .

أخيرا - جاء الرجل - لكن علي غير ما كانت تعلم وتشتهي ، بل فى
شكل "مقاول أنفار " اعتاد أن يفد إلى بلدتها قبل موسم الخليج ليشتحن
أكثر من مائتي عامل - علي دفعات - داخل عربة نقل واسعة .

ويغبط العجائز ، والذين استهلكتهم الأرض من قديم ، حينما ينقدهم
المقاول بعض القطع الفضية مقدما ؛ لقاء عمل الأولاد طوال موسم
القطن .. وبقدر ما تزداد حاجتنا إلى أياد عاملة ؛ فلا يظن أحد أو يعتقد
إنسان بأن فرصة العمل بالمدينة اتاحت لها بسهولة ؛ أبدا . فلکم قاست
وجربت حيلة كثيرة من أجل التسلق داخل العربة !! .. صحيح . ليس
حبا للعمل ذاته ؛ بل لأنه السبيل المفضي إلى التحرر من طغيان زوجة

أبيها الشرسة ؛ من أجل هذا ؛ لَفَتَّ ودارت حول العربة بقصد اجتذاب إنتباه المقاتل .. وبرغم أنها لا تملك روح الإصرار ؛ إلا أنها اجتهدت في الوصول إليه وهو محاط بجمع من الرجال يعلنون عن أسمائهم ليسجلها بيد مرتعشة في كراسة تلميذ ، وبغير قصد ، وقعت عيناه عليها .. أخيراً .
بادرها بالكلام وعينه ما زالت زائغة ؛ وقد دفن يده الشمال في جيب بالطوه الكاكي :

- إنت بنت مين ؟

اقتربت إليه بقلب يكاد يقفز علي لسانها ..

- أ .. أ .. أنا ؟

فكرت كثيراً قبل أن تنطق :

- بنت حسين أبو مجاهد .

- ما شاء الله .. ما شاء الله

بعد هنيةة الفصح عن رغبته في التحدث إلي أبيها ..

كانت تعلم أنه من العسير علي أي إنسان التفاهم معه أو إقناعه بوجهة نظره قد تختلف مع منطقته ، فمثلاً مسألة تشغيلها خارج حدود البلدة من المسائل التي لا تصادف هوى في نفسه ؛ فهو قد يرحب بأن تعمل ابنته في أرض الإصلاح أو عند أحد المزارعين ، أما أن تعمل خارج

حدود البلدة وتختفي عن ناظره ، أي أن تخرج من قبضته ويفقد سلطانه عليها ، فهذه أمور سيئة لا يقبلها عقله ألبنه خاصة وأن هناك في المدينة لا سلطان لأحد علي أحد !!

لذلك ، فقد شكرت الله لأن أباه كان غائباً ضمن فرقة الترحيلة التي خرجت لشق مصارف البرارى ؛ ولم ينس قبيل رحيله أن خول زوجته ممارسة جميع سلطاته عليها .. ولسبب لا تعلمه معطيه وافقت المرأة علي عرض المقاول حين أسرع بدس يده في كيس نقوده .. رنت الفضة بقطع رأسها الفارغ .. إلتوي لسانها من الشمالة وارتعش :

- وماله يا خويا .. هو الشغل عيب .. علي الأقل تكسى نفسها .

اغت معطية بمكر صياني إلي أن هذا يعد خروجاً علي توصيات أبيها .. اسكتها المرأة بقسوة :

- مش شغلك إنت !!

في العربة ؛ أحست معطيه بالدفع المتبعث من أجساد كعيدان الذرة الصفراء وهم متكومون علي أنفسهم ، وبين الفخاخ بعضهم قطعة قماش معقودة علي بعض الأرغفة الناشفة واللفت المملح ؛ ولشد ما التصقت بهم أكثر ، جاش بصدرها حنان جارف ، ودت من صميم قلبها أن تحتضن البنات والصبية الخفاة ، بيد أن خافت إذا سؤلت مثلاً فيماذا تعلق تصرفاتنا ؟ .. أجل ، خافت أن تجرد نفسها من ثوبها الرقيق

لتكشف عن سعادتها التي إذا علمت بما زوجة أبيها لحالت دون رحيلها ،
مستعملة سلطاقاً مهما تكن المغريات المادية ! وانطلقت العربية .. آ ..

عجيب أمر هذه الحياة ..

ثلاثة شهور مرت - فقد حدث - حين اعتقدت أن الحياة تبسمت
لها، ووضعت في طريقها كهربائي الوابور ، إذ كان صورة طبق الأصل
لإبن الحلال الذي داعب خيالها وانتظرت مجيئه بفارغ صبر .. حدث مرة
أن رصد خطاها ، حدث يوماً أن رقص الكلام فوق شفتيه ، انتشت ..
شجعت .. حزم أمره ، تقدم .. بادلته الكلام .. يوماً ؛ فيوما .. وثقت
برجولته .. أكد لها بطريقته الحلوة وبأسلوبه المنمق الذي لا تحسنه - بعد
أن أوقفته علي حياتها - أنه سيحررها من الهوان وسيخلصها من تسلط
أبيها الأعمى وسيعلمها أشياء نافعة .. التصقت به ، استروحت أنفاسه ،
أراحت رأسها المشحون بصور جميلة فوق صدره ، كما يفعل المحبون ثم ..
ثم ماذا ؟ .. لا ؛ لم تعد قادرة علي تذكر الحقيقة بالتفاصيل .. الحقيقة !

ضغطت علي بطنها بيدها وهي تسير وسط جموع الفتيات اللاتي
ينشدن علي طريق العودة ولق قلوبهن حنين إلي المدينة التي ستقتلع آخر
قدم هن فيها بعد قليل.

غمرها إحساس بأنها تسير معهن إلي نهايتها ، إلا أنها لم تبح لأحد
بسررها خوفاً من أن تفوح الرائحة فتزكم أنوف أهل البلدة ؛ مؤثرة أن
تصل بنفسها إلي حل ، فهي التي تمنيت ، هي التي تعذبت ، هي التي .. بيد

أن حلولها كانت تسقط علي الطريق مجهزة ، فتكمش علي اليأس وسط
أهازيج تبلغ عنان السماء ، ثم ترفع وجهها إلي فوق كمن يبغي خلاصا
أي خلاص بعد أن استنفدت أساليبها دون جدوي ، فتبدت السماء
لعينها أشبه ما تكون بقبة ولي صالح مزدانة بالنجوم والضياء في يوم
مولده وكأنها وعود خلاصة من الأماني عالقة بالفضاء اللامعاني ما فتئت
تجذب أعين البسطاء والمريدين .. ثم قفزت صورته أمامها .. كيف
حدث هذا يا ربى ؟ .

بعدها ، دخل العنبر من الباب الخلفي ، متحاشيا النظر إليها وإذا
اقترب منها تشاغل بعب - لا شك - غير موجود في دولاب من
دواليب العمل .. لماذا وهي التي تكن له أصدق الحب وأجمل العاطفة ؟

في ذلك اليوم غرس أول بذرة للشك في نفسها . ألا يمكن أن تكون
قد إمتلكته امرأة غنية غيرها أو عشقته فتاة جميلة ؟ .. إذ أن وجهه وسيم
وبسمته أمل . آه . وعيناه . أجل . عيناه اللتان تومضان بالجمسارة
والبطولة وكلامه أغنية حب طالما سكبها في أذنيها .. أين منه هذه
الأشياء ؟ لم يتبق منه غير آهة خرساء انطبعت علي شفيتها .

وأما لتذكر حين أوضحت له إحساسها بشئ يتمدد داخلها كيف
أرغى وازبد وهددها إذا فاتحته في هذا الكلام ثانية فإنه ، وعلي التوفطن
إلي أنه خالي الوفاض ؛ أفهمته أنها ستنسى إلي جواره الأهل والمعارف ،
وأفهما سيجدان - معا - حلا لجميع مشاكلهما .. لم يعلق بشئ ، بداهة

في الفترة الأخيرة عزوفا عن الناس ، وفي أحيان أخرى لحنه فوق أكياس القطن وهو يكلم نفسه ، ويلوح بيده ثم ينظر راسه كأنه يدفع أفكارا شريرة تحاول التسلط عليه .. وفجأة ، أشاع الجميع أن الأسطي زكريا غادر الوابور ليعمل بميت غمر . كاد يغشى عليها ، رأت نهايتها بعيني خيالها ، في أعماق ساقية مهجورة بيد أن بصيصا من شعاع كان يحملها علي التفكير في عودته .. ولماذا لا تقع المعجزة ويعود إليها ؛ وفي بلدقن تقع المعجزات والكرامات كما تقع الخطيئة كل يوم ؟

تناهي إلي سمعها صوت الفتاة نوال :

- يا معطيه .. كل سنة وإن طيبة ..

ارتفع في الفضاء صغير طويل حاد كأنه سلك دقيق تسرب إلي جسدها وهو يعلن انتهاء موسم القطن وبداية نهاية موسية ، وقد أفاقت معطيه . لكن متى ؟ .. اليوم .. يا خبر أسود من شعر رأسك يا معطيه .

ضربت علي صدرها وتندت عيظها بالدمع ؛ أقامت في صدرها مناحة ؛ لم تدر إلا وأنها تسير وسط جموع الفتيات المحظوظات المشيرات حولها أغنيات فيها رائحة الريف المخضوضر المزوجة بحلاوة العودة وبعد مسافة لا تدري مداها ؛ التفتت بحركة لا إرادية إلي وراء ؛ بدت أضواء المدينة تتضاءل حتى تبدو كعيون واسعة تتحدث إليها في عبوس عيني النهاية .

فترحماس الفتيات للغناء همست فتاة :

- الأسطي زكريا جه من ميت غمر .. يقولوا راح يخطب من بـرق
العز .

تمل وجه فتاة كانت تسير في المؤخرة قائلة :

- صحيح يا نور .. حا يخطب من بلدنا يا بت ..

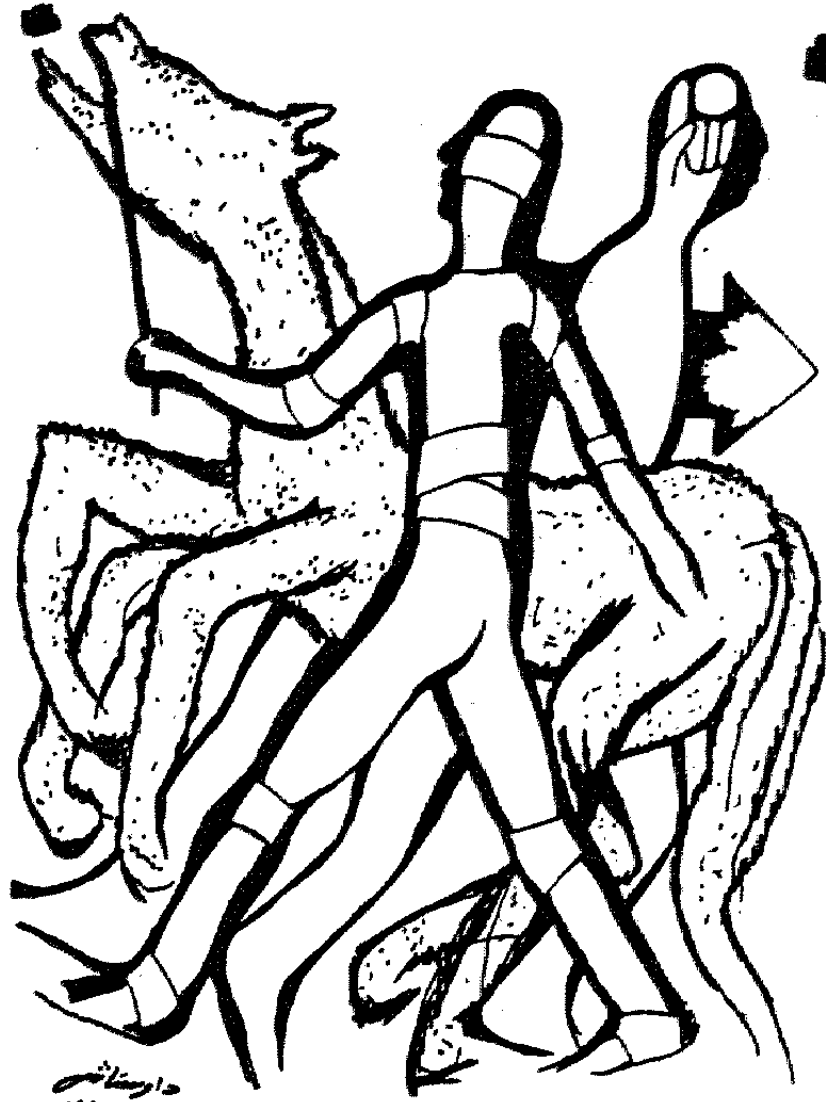
- يا هناها اللي تاخده .. علي الأقل تستريح من الشقا .

عقبت نور في يقين :

- الفرحة فرحة معطية ومين غيرها يا بنات .. سمعت أنه أول ما نـول
البلد سأل عن أبوها .

لا تدري - معطيه - أهذا حديث البنات المتعبات ؟ .. أو حديثها إلي
نفسها - لذلك - فقد أمعنت فيمن حولها النظر ولم تنبس ببنت شفة
وخنقت عيناها دمة إنحدرت علي خدها في سكون وجاشت بـصدرها
أمنيات ظنت يوما أنها ماتت في الأعماق ، وخافت أن تفضحها هذه
السعادة المباغلة فتشاغلت بالتطلع إلي أشجار النخيل التي تداعبها الرياح ،
فتبدو كمكائس مقلوبة راحت تمسح وجه السماء .

مجلة المنصورة / ١٩٦٥



مشكلة المشكلة

حينما أدار ظهره للصراف وبين يديه جنيهاته العشرة ، لقي عم سيد عامل البوفيه واقفا قبالة ؛ كعزرائيل الموت قابضا علي كشف حساب ملوث ببعض البقع ؛ وبجواره عاملين يلعن أحدهما الفلوس التي غدت لها أجنحة الطيور بينما ينحي الآخر باللائمة علي الزمن الذي فر من قبضته الخير والبركة .

انقذ الرجل مائة وعشرين قرشا ثمنا لفناجين الشاي والقهوة التي يتعاطاها طوال أيام الشهر .. طبعاً بعد السمسة وإضافة مشروبات علي الحساب ؛ يشهد الله وحده أنه ما تناولها أو نزلت في حلقه .

كان متبلد الحواس . مابه رغبة لمراجعة الكشف والنظر فيه فلم للرجل بما قال ؛ ثم أسرع إلي البقال والحلاق و .. و ..

في دورة صغيرة ؛ ضيقة كحياته لم تستغرق منه غير نصف ساعة ،

سدد خلالها بعض ديونه مع حرصه برغم تبلد أحاسيسه آنذاك ؛ أن يستبقى بجيبه جنيها كمصروف شخصى ينفقه علي شراء الحظ في أوراقه المعلقة علي حبال مهترئة أمام كشك بائع الجرائد .

دخلت الجريدة وأوراق الحظ حياته منذ أصبحت له وظيفة وعمل يؤديه .. اصبحا بالنسبة إليه بمثابة الزاد الذى يدخره المسافر لرحلة تنتهي بتغيير حياته .. حياته في كفة وأوراق الحظ والجريدة في كفة أخرى ؛ إذ ما جدوى الحياة حين تخلو من أمل يرقبه أو يسعى إليه ؟

انطلق إلي صاحبة البيت لكي يسلمها إيجار غرفة السطوح ولكنها رفضت أخذه منه بحجة أنه مكسور في شهر سابق .. قال لها :

- خدى وربنا يفرجها بأجرة الشهر الفائت ..

زعقت ورأسها وألف سيف بأنها لن تنال الأجرة قطاعي وقد عقدت يديها فوق ثدييها البارزين وهي ترقص له حاجبيها :

- بطلت بيع ترمس يا حبة عين أملك .

تذكرها في ألتو .. كانت تأخذ بخاطرهما منه بسبب وبغير ما سبب . حاول أن يكشف لها مرة عن ضراوة الحياة التي يعيشها شاب مثله في مدينة تصفق الباب في وجه التزاماته غير انه فشل ؛ آخر مرة جاءته من البلد عجوز منهوكة مكسورة النفس خبزت وعجنت في بيوت ناس كثيرين من أجل تربيته في مدرسة الصنائع إلا أنه رسب مرتين في الدبلوم

.. فاشتغل مساعد حداد في ورش السكة الحديد .. وصوتها المتهدج ما
يزال يملؤه :

- يا جاحد .

كانت قد طلبت إليه جلبابا أسود خاصة وأن الهدمة التي فوق جسدها
أصبحت مزقا .

- وأنا ماشيه في البلد .. الناس يقولوا شوفوا أم المهندس ..

يومها طمأنها بأنه سوف يستخرج استثمارا قماش بعشرين جنيهها
تخصم من مرتبه علي أقسام شهرية حالما تمر عليه سنة خدمة . كما تنص
بذلك لائحة السكة .

مضت أربعة أيام في الشهر وأكتوبر طويل طويل . واحد وثلاثون يوما
.. بداية مؤسسية لنهاية مرجوة .

ظل يستحث الزمن علي الإسراع منذ إشراقة الشمس حتى تلم
خيوطها داخل قرص ملتهب كدمعة مقهورة ، سرعان ما يتفحم وهو
يهوي في أحضان المغيب فينتعش قلبه لتفتق صباح جديد يتمني أن يتألق
في جنباته شعاع ندى يتكسب فيه مالا وفيرا ، يسدد به ديونه كلها
فيرتاح رأسه المشحون .. القابل للإنفجار علي المخدة في أية لحظة .

الآن باق من مرتبه خمسة عشر قرشا وجيبه متخم بأوراق الحظ
وجريدة " الغد " أمامه علبة سجائر فوق الطاولة مهمل .. فنجان

قهوة سادة .. شدته صورته الطافية علي سطحه . جعل يعن فيها النظر .

كانت ملامحه ضئيلة بحيث لا يمكن أن يدركها بتفاصيلها ودقائقها
مخلوق سواه . لكم ودَّ وهو صغير أن .. ظن أن الفرصة قد تكون سلحة
الآن لأن يقذف بأوراقه الداخلية في وجه زميله الذي قد أجابه بكل ثقة :

- ولا يهملك اودع لها الإيجار في خزانة المحكمة وانت تغيظها .

شخشخ بالقروش الراقدة بجيبه . أحس بها ترتجف من فرط ضآلتها .
انتفضت أمه بداخله علي صوت الخشخشة الواهي .. اغتم ..

- واللا انت لك رأي تاني ؟

أراد أن يفيق من ذهوله .. ولكيلا تضيع جهوده عبثا في البحث عن
رأي ثان ينتشله من وهدهته ؛ فكر أن يسكر أولا !! ولأنه كثيرا ما سكر
بغير خمر وتلذذ بغير مضغ ولا التهام .. تمنى أن يسكر الليلة بخمر معتقة
كتلك التي رآها معبأة في زجاجات موضوعة بطريقة تلهمه وتستاصل من
نفسه بذور الخوف من النار والعقاب ومسامرة الشياطين في بار تريخاس ..

ود أن يقطع علي زميله الكلام :

- لا رأيك سليم .

ليترسل هو ..

بيد أن قروشه المتواضعة لا تستطيع أن تملأ له كأسا واحدة وهو منذ

يومين يشتهي الفرق في البحر أو برميل خر .. كلاهما سواء لديه الآن ؛
إذ الاستغراق أو الفرق في برميل أي برميل ؛ أفضل مائة مرة من سماع
عبارات الست زكية وهي واقفة في عتبة الباب تسد عليه الأركان .

- هي زريبة من غير بواب ..

لذا فقد آثر السهر في القهوة علي العودة مبكرا لعل النوم يكون قد
لطشها فيغنيه عن رؤية وجهها الأغبر .

- مساء الخير يا باشمهندس ؟

قالها الأسطي سعد بعد أن جلس بجانبه .. وهو ميكانيكي سيارات
يعمل بورشة أهلية .. ثم بعد ثرثرة طويلة بينهما باغته الأسطي سعد :

- بدك ترتاح

- آ ..

- اتجوزها ؟؟

ناولها سيجارة كايرو واشعل لنفسه واحدة ربما يخفي دخانها
الارتعاشات التي تملكته وصوت مقتر شحيح أرهقه وهو يرشح في
أعماقه: باقي في العلبة خمس سجائر .. باقي في العلبة خمس سجائر .. و ..
سقطت نظراته علي جدار " النصبه " قرأ خطأ ردينا مكتوبا بالطباشير ..
عبده السمكري ١٥ صاغ ، العيسوي ١٧ ، الباشمهندس ٢٩ .. هوب

بنظراته أمام نفسه .. دفن أنفه في كوب الشاي ؛ وسعد يفرقر متضحكا :

- اتجوزها .. ها .. ها ..

تحيل أمه حين يقع علي رأسها هذا الخبر . لسوف تضرب صدرها
المسوح وهي تولول :

- يا خراب الخراب !! ضنای التجوز " عزبه " ..

صحيح إنها أرملة شابة .. لم تنجب .. تمتلك منزلين .. منزل في درب
الخوخة ، والمنزل الذي يسكنه بسيدي ياسين ، بيضاء ، ممتلئة ؛ من
هاويات جمع الذهب ، يدها اليمنى مثقلة بالثعابين .. لم تدفنها إلا يوم أن
جاء الرجل في طلب التبرع للمجهود الحربي ، فمني أن يلتف حولها ثعبان
بنايين ويفرغ سمه في جوفها ..

فجأة ردد صاحبه في حسم كأنه عثر علي البلسم الشافي .

- اتجوزها .

- أنا ورايا اخواني في المدارس باصرف عليهم .

تألم لكذبه علي صاحبه إذ لم يكن ثمة اخوات لكنها الشهامة التي
يصطنعها - عادة - هربا من موقف حرج .

بعد قليل استأذن الأسطي سعد وبدأ رواد القهوة يتشاءمون وهم
يغادرونها تباعا . خلت القهوة إلا منه وصوت الراديو يصرخ بأسف من

جاء الانفجار السكاني الذي يجتاح العالم .. الناس يتكاثرون كالديدان .. مشكلة .. أو يعني هذا أن الفتاة التي تعرف عليها عند محطة الأتوبيس منذ أسبوع صارت بالنسبة لوضع العالم الراهن مشكلة ؟

كانت قد وضعت بعد محطتين من سير العربة في إصبعه خاتما . همست في أذنه متمنية أن تنجب له ولدا تسميه باسمه .. مشكلة .. وما سيتمخض عنهما يصير بلا شك مشكلة .. لا بالنسبة لكليهما فقط بل بالنسبة لشكل العالم المضغوط الذي أصبح الحب فيه مشكلة ، الجنس مشكلة ، ضالة الأجر مشكلة ، العنوان الذي طالعه علي صدر الجريدة يشير إلي تشريد شعب من دياره مشكلة ، ماذا يعني كل هذا ؟ أو يعني في النهاية الخلاص من فائض الحب ؟ ..

و .. الآن كره الفتاة لكيلا يضيق بنفسه أو يضيق العالم به خاصة بعد أن وضحت نواياها السيئة في إنجاب ذرية .

صدرت حركة عن الجرسون أثناء جمعه أعقاب السجاير القريبة من حذائه بطرف مكنسته . حركة قصد بها اللئيم أن ينبهه إلي ميعاد الغلق . أشار برأسه وهو يقف ناحية الجدار ؛ ذهب الجرسون وأضاف رقما جديدا أمامه .

في الطريق أحب الست زكية بقلب مرتعش وهو يسير تحت زخات من المطر .. سأل نفسه : لعله الخوف من الليل والعسكرى . ذلك

الخوف المحفور في أعماق طفولته سبب إرتعاشته ، ربما يكون ... وضغط أوراق الحظ داخل سترته .

أضاف في سره : أنا أحبك يا عقيمة . صاحت أمه وهي تسير في طرقات مسدودة بثياب ممزقة : يا جاحد ، وحين دفن أنفـه في صدر الست زكية تشمم رائحة عرقها المعطر ، التهب خياله ، ما كاد يضع فمه علي نبع الحنان حتى ابتداء دفع الأوراق المالية يسيل منه ويغمره . امتلأت خياشيمه برائحة البنكنوت المستخفي تحت جلدها الأملس فأسبل عينيه وجعل يضغط علي صدرها ، غير أن فتاة الأتوبيس برزت في رأسه تلطم خديه لعله يفيق .

كانت مشعثة الشعر تصرخ بغباء : خنقت أمني ؛ قتلت ابنك ؛ بينما جدران المنازل تصاحبه علي طوال امتداد الطريق ، خطوة خطوة فيطالع فوقها اسماء عبد السمكري ، ١ صاغ ، اسماعيل الكوشة ٢١ .. الباشمهندس ٣٥ .. و .

جريدة العمال / ١٩٦٦



احلام ترانزستور

شبت أحلامه فجأة وبلغت وهو في الخمسين !!

لم يذكر أحد أن كانت له من قبل أحلاما .. وأن يحلم الإنسان ؛ أن يخفق قلبه بأي معنى ؛ في أي وقت وأي عمر ، فإنما يدل هذا علي أن قلب الحياة لم يشخ ويتغضن ، إلا أن هذا السر اقلق زوجته وعياله ، ما لهم ولكل الأمور التي من شأنها ان تبعدهم عن التفكير في لقمة عيش وقطعة جبن قريش ؟!

فكرت الزوجة . كان المفروض علي زوجها أن لا يستثار إنتباهه - وهو في هذه السن - ذلك الصندوق السحري الذي قبض عليه ابنن أختها صابر ؛ حين مر عليه في طريقه إلي زراعته ، وقد زعق في صندوقه صوت الناي الحزين ؛ وما كان له بعد أن يضع الفأس جانبا ويتلهي عن قلبه وجه الأرض ، بغسل يديه في مياه الترعة التي تصب في الأرض

البعيدة ، ليحاول تقليب الصندوق بين يديه ، مستعينا بالله الذى فى السماء أن يلهمه قوة الكشف حتى ليرى حقيقة هذه الأصوات المخبأة داخله .. من أين دخلت إليه ؟ ..

تناوله من يد صابر ، دور مفتاحه ، ارتفع صوت جماعي رخيم ..

(آه يا ليل يا قمر)

- آه يا ليل يا قمر ..

قال هذا وأشار إلي ما يشبه الصندوق مستدركا :

- هو .. دا ..

عاجله صابر قبل أن يتم جملة وقد مط صوته :

- آه .. تم .. ا .. م

وعرض أن يتاعه منه (وهو يعلم أنه خالي الوفاض) فرفض صابر ؛ ثم انتشرت فى القرية الراديوهات الصغيرة والمتوسطة الحجم ؛ أصبح فى كل دار راديو يملأ الأركان الموحشة ، بالبهجة ، لم تعد قريتهم تنام من المغربية ، لا ، ولم يعد الليل غولا ، بل أصبح الغول بالنسبة للإنسان قزما صغيرا ، تربع الإنسان على عرش الليل والنهار حتى بات ممكنا عن طريق الجهاز الصغير أن يسمع نبض العالم البعيد البعيد ؛ وحركة كل شئ تدور هناك ؛ خارج حدود نفسه ، وحدود القرية ا

في مساء الليلة التالية أراد أن يحقق حلمه ؛ فكر بصوت عالٍ أمام زوجته :

- إحنا عايزين نشوف لنا حنة راديو علي قدنا كده .. يسلينا .
ورسم حجمها دقيقا بأصبعيه ..

استشاطت زوجته غضبا وهي تدق علي صدرها الناشف بيدها :

- يا همي ! فكر في عشا العيال الأول ؟

سقطت عيناه إلي تحت ، استقرت لحظة في الأركان ، حيث تكور ابنه عقيل في ركن ، وابنته صابحة في ركن آخر ، همس في نفسه (البت بقت عروسه بصحيح) .. أما الركن الآخر للغرفة ، فقد كان خاليا ، تبين أن ابنه مجاهد الطالب في الثانوية العامة ، لم يأت ، ما زالت مطاردة التربس مستمرة علي أضواء الكلوبات . ولا يزال ابنه مجاهد علي رأس الفرقة الأولى .. ولد نحيف ، ضامر الجسد صدره ناشف كصدر أمه ، ولكنك حين تقعد معه فلا تشبع من كلامه عن الثورة ومنظمة الشباب ؛ وقبل أن يخرج ويصفق الباب خلفه ، متصنعا الغيظ ، فاجأه صوت امرأته :

- علي فين رايح يا ابو العيال ؟

- رايح في داهية ..

وهو يعلم أنه لن يروح في داهية أبدا ، ولكنه سوف يذهب إلي قهوة

بشندي ليستمتع بالليل وصوت الجهاز الذي خلج عليه بشندي ثوبا من
قطيفة حمراء ، حافظا عليه من الإتساخ ..

(يا أخي المواطن) ..

أحس بأن هذا النداء يهيب به أن يفعل شيئا ؛ هو منبعث إليه أساما
.. ولكن امرأته ألجمت لسانه بالضرورة ؛ أحس بوخز كالأبر في جسده
؛ أو أن هناك ما يشبه غطاء الرحي ملقى علي صدره - يدعكه - في
أحكام عجيب من قديم ؛ ضاغطا جميع رغباته .. قال وهو يشير برأسه
ناحية الجهاز :

- بكام يا بشندي .. ؟

- التراتز يا با .. آه .. بخمستاشر جنيه .

الجهاز ثمنه غال وجيبه نظيفا .. إلي متى سيظل نظيفا ويمسي ويصبح
علي الحديدية ؟ .. صحيح أن أجره إرتفع أيام النقاوة لأكثر من ريال ؛
وهذا معناه إنه إذا ما احتجز في اليوم ثلاثة قروش مثلا ، فلن يتيسر له
شراؤه إلا بعد سنة .

لكن . من الذي يعطيه الفرصة ليستبقى (حبة) من عرقه ؟ .. هل
ترضى زوجته أن تمشي بنصف وجبة غذاء مثلا .. أو هل يمكن أن
يضحي غيره ويساهم معه في تحقيق رغبات الآخرين ؟ ابنه مجاهد .. لا
حرام .. يكفي أنه دخل المدرسة السنة الفائتة بسروال ممزق ، لولا

(تلفيق أمه) - وهي بحق ماهرة في التلفيق - أحيانا ! - وسد الخانات
الفارغة - لما سمياه بنطلونا .. آه بنت .. !! .. إذ أنها ممكن تتصرف وتعمل
علي أخيها كاتب حسابات الجمعية ، تقصده في قرشين ، لن يدخل عليها
، فالخير تحت رجله وظهره مسنودا إلي خزانة ممتلئة من خير الله ، لكنها
سوف ترفض .. إذن أفضل طريقة أن لا يتكل عليها خوفا من أن تفروش
أمام رغبته طريقا من الشوك الدامي .. آه .. أحسن شيء أن يستدين مني
بشندي .. هكذا معظم الرغبات لا تتحقق مرة واحدة ، فقط علي
أفساط .. وهو عندما تزوج بنت .. !! .. لم يكن ليظن أنها ستخلف له
ولدا كل سنة ينجح وينجح ، النجاح هم ثقيل قوي ، وابنه مجاهد لم
يكلفه طوال حياته ثمن مسطرة ؛ أجازته الصيفية يمتحن فيها أي عمل
يغطي به مصاريف الدراسة .. آه ؛ والجزمة تصغر والقدم تكبر باستمرار ؛
ومع هذا لمجاهد يحاول أن يضع قدميه فيها بصبر يفوق كل احتمال :

- اشرب الشاي ..

قدمه إليه بشندي وعلى وجهه ابتسامة ؛ حاول بها أن يرضيه .

وبشندي ممكن أن يعينه علي تحقيق رغبته ، بعد أن لمح له أمسي بالفهم
أهل وأن أباه أول ما قدم من الصعيد اشتغل معه في أراضي البداروه ثم
طلب إليه يد العروسة :

- العروسة مين ؟؟

- صاحبة ..

زغرد قلبه .. آه ، فمعظم الرغبات لا تتحقق بدون مقابل . انتهز
الفرصة اليوم ومال على أذنه سريعا برغم أنه لم يكن هناك من يفتش
السر أو يفشيه ، غير أريز الكلوب وبراء الشاى الذى يغلي علي
الوابور ، دس بشندي يده داخل صديريته ؛ أخرج حافظته بين يديه في
سماحة وقال :

- خد اللي إنت عايزه .

سحب ورقة بخمسة وتواعدا بأن يأخذا أول قطار معا .
قبل أن يشد سقطة الباب إلي تحت سمع صوت ابنه مجاهد يقول لأمه:
- إحنا نجحنا يا أمه ..

أف ، مزيد من الهموم فوق كتفيه ، ولما دخل وجده يخلع قميصه
الكاكي ، واضلعه دقيقة كأنها سيقان القطن اليابسة ، برزت تحت الجلد
الرقيق .

قال وهو لا يستطيع خنق غيظه :

- نجحت في إيه تاني يا ابن الكلب !

- خلاص قضينا ع الدودة ؛ خلاص .

ثم وهو لا يعني ما يقول :

- دودة تاكلك وتاكل أبوك .. يعني يا أخي هي قدادين أبوك ؟

نظر إلي أبيه مليا ؛ ثم ضحكا معا ؛ فقد كان يعرف تعليقات أبيه
المقلوبة والتي لا تعني في معظمها إلا العكس تماما .

- وحا تعمل إيه يا مجاهد ؟

- في إيه يا با ..

- في المدرسة السندي .

نظر إلي حذائه .. أجاب وهو ينظر إلي سقف الحجرة :

- تتعدل .

والخمس جنيهاات في جيبه جديدة (تحرفش) لا يحس بها مخلوق غير
قلبه الذي ينبض تحتها بعنف . تك .. تك .. تك .. أحس بأنه لم يعد
يحتمل ضغطها ؛ كأنها سكين مسنونة سوف تجهز عليه ، ود أن يزيع عن
كاهله بعض الهموم قبل أن تخنقه وهو نائم ؛ فقال ويده ممتدة بها واليد
الأخري تجذب الغطاء عليه :

- خد يا مجاهد ، بكره سافر المنصورة ، هات لك جزمه .

مجلة " العمال " / ١٩٦٦



الذى فقد نظارته

وهو يسير ، تذكرها ، كان قد نسيها أثناء مساءله فوق مكتب
المحقق، اختلطت عليه الأمور ، هزلت سيارة بجواره مخترقه الإشارة
الضوئية ، بينما ثمة رتل من السيارات التزم سائقوها التقاليد الواجبة
ووقفوا أمام الضوء الأحمر يحملون فيه بحرص .. أشار سائق تاكسى إلى
السيارة التي مرقت أمامهم ..

- قطاع عام .

أما هو ، فقد خاف أن يحرك ساكنا ؛ فخطوة إلى أمام تعني بنظرهم
عودة إلى وراء .. إرتعشت ساقاه .. لكن حذار .. عليك أن تحبوا ..
تدرّج أولا في الماشى الضيقة قبل أن تضع قدميك في رأسك من جديد
.. قبل أن تسير حدد خطواتك .. كم خطوة يمكن أن تقطعها في حيلتك
بعد كل ما جرى ؟

سمع من يعقب علي كلام السائق :

- النظام - يجب المحافظة علي النظام .

أردف آخر مؤكدا :

- حقا ! .. لا يجب أن تمضي الحياة في فوضى .

.. لكنه أجاب علي كلامه المحقق الذي قال :

- أصدقاؤك وشوا بك .. وديع قال الحقيقة

بتساؤله :

- ماذا قالوا ؟

- الحقيقة ..

- أنا لم أكن ..

لمح في وسط الميدان غرفة نصف زجاجية ؛ تمركز خلف طاولة فيها عسكري إندفن أنفه في شاربته ؛ غرفة ، نصفها السفلى مدهون بيوية بيضاء وسوداء ، وسطحها ملفوف بشرائط من الأبيض والأسود ، أما النصف الآخر ، فقد أصر مهندس التنظيم ، أن يبقى بغير لون ، كما هو من زجاج فقط ، غير أنه حين سئل عن أفضل الألوان التي تناسبه في المستقبل ، ردد كيبغاء مألوف :

- في المستقبل ..

بعد قليل تحول الضوء الأحمر إلى أبيض شاحب ، انطلقت السيارات إثر ظهوره ، في غبش الطرقات ، كان هذا إيذاناً له بالمسير إلا أنه أثار التربث قليلاً ، لكي يمعن النظر في العسكرى وهو يدون في أجندته ملاحظاته عن حركة المرور .. وبالفريزة التي تتأكله أخرج هو الآخر قلمه ، كانت له ملاحظات من جرائها فقد نظارته ، ومع هذا تمني أن يتم عمله مهما كان السبب ؛ والقلم ؛ ين فوق الورق . آه ؛ متى يصل إلي النهاية ؟ .. قصصه الأولى كتبها في اتساق وسهولة ؛ بدون خريشة ؛ (البداية) لابد أن يعرفها جميع القراء ، لابد أن تعطي لهم الخيوط الأولى ليسيروا بها إلي (الوسط) ؛ والوسط الذي وصل إليه في جميع قصصه ؛ منطقياً ؛ أما الحدث حين يتفجر عن شيء حتمي ؛ فثمة تقع (النهاية) ونهاية الخونة أمر ضروري ؛ وديع ؛ وسعيد ؛ و .. كل الخونة ، قالوا : أن فكره مستمد من قاع المدينة (لكأنهم غرباء عنها) وأنه .. وأنه .. مع أنه علمهم ؛ أطعمهم عقله ؛ فتح أمامهم خزائن الحياة الوسيعة حتى يثقنوا منها ؛ سلمهم جميع مفاتيحها ؛ لكنهم خانوا . خانوا ، أصبح الفكر خائناً وأصدقاء مرتعبن ، فروا بأرواحهم إلي خارج السور ، حطموا أقلامهم ؛ قالوا :

- الخطأ يصنعه أفراد فيتحمل مصائبه كل الناس .

- منطق العقول الهلامية .

من ثم شرعوا في رفع قضية شريطة أن يفصل فيها قاض عدل ، لكنهم

روعوا حين اكتشفوا أنه ليس ثمة قاض يمكنه نظر مثل هذه الدعوى ، إذ أن المدعى ممكن لو أمعن بعضهم النظر أن يصير مدعي عليه ، والمتهم يقفز فجأة إلي كرسى القضاء ؛ فعدلوا عن رفعها بعد أن صرخوا :

- لماذا جئنا في هذا الزمان ؟

.. والمحقق حين ودعه قال له :

- تقدر تجيب لنا أخبارهم .. اتفقنا ..

-

في قهوة ايزافتش سيجدهم مبعثرين في حلقات ضائعة ؛ سعيد ومحفوظ وجاد في ركنهم الأثير ؛ وديع جالس إلي طاولته ، وحيدا ؛ معتما ، بجواره كرسى خال .. اغتم وديع حين رآه يدلف من الباب ؛ وإذا اختلجت شفتا سالم بكلمتي :

- مساء الخير .

لم يجبه وديع ؛ بل إكتفى بأن ردد في نفسه (عميل) .. كان المحقق قد استدعاه هو الآخر محذرا إياه :

- أصدقاؤك وشوا بك .. سالم قال الحقيقة .

- ماذا قالوا ؟

- الحقيقة .

نظر وديع إلي صاحبه مليا ثم اشاح عنه بوجهه ..

لماذا لم يأخذه في أجضائه ؟ .. الخيانة حرباء ووديع كان له وجهه
واحد فقط ؛ أم .. هل يمكن أن يعد تصرفه إزاءه الآن دليلا قاطعا علي
الخيانة ؟ أم ماذا جرى ؟ ..

خرج من ايزافتش معشيا ؛ إشراقة وديع غاضت ؛ حرارة القلب
انطفأت.

مسح عينيه بمنديله ، فكر أن يذهب ليستعيد نظارته ؛ اقعده الذي
حقق معه في كرسي مريح وراح يسأل :

- كيف حال الأصدقاء ؟

التوت عيناه ، أدرك الرجل أنه يعاني ألما ما ؛ حول دفلة الحديث
بحذق :

- ليس مهما أن نعرف منك الآن .. فأصدقائك يأتون ليثرثروا بكل
شي ؛ اما انت .. كيف حالك انت ؟

- نظارتي .. نسيته ؛ هنا .

ضحك كنور بخور :

- لم نر عليك نظارة ، فكر جيدا ، طول عمرك ونحن نراك بغير
نظارة.

وهو يسر ؛ ارتج عليه ، نظارته لوفا .. ما شكلها ؟ أخضر ، أحمر ،
أبيض ، أصدقاؤه رأوه بها ؛ أم تراهم ينكرونها عليه هم الآخرون ؟
استوقفه انشاق النور الأحمر فجأة وأصوات كالصرير لفرامل عربات
كثيرة اصطفت في أدب غبي ؛ فوقف بجوارها متولفا ، يهدر في رأسه
موتور العربة التي انطلقت أمامه ذات يوم ، ثم مضت ساعة ، يومان ،
ثلاثة أيام ، وراكبي العرجات البخارية والشاحنات في انتظار إشارة المرور
.. ضاق بوقفته علي الطوار ، استجمع جراته القديمة وأخذ يمد رقبته
ناحية الغرفة نصف الزجاجية .. وجدها خالية من العسكري ، اسقط في
يده ؛ جرى إليهم وهم يطلون برؤوسهم في العربات التي يدفنون أنفسهم
بداخلها وصاح :

- أنتم واقفين ليه ؟

أجاب سائق كان يشتكى لزميل له من كثرة المخالفات التي حسبت
عليه ولم يرتكبها يوما :

- منتظرين الإشارة !

- إشارة مين ؟

- العسكري ..

- ولين العسكري ؟

- فى الكشك ..

دعك عىنيه بىده ، ثم جعل يتفرس فى الغرفة من جديده؛ وجدها
فارغة إلا من طاولة فوقها كراس مفتوح عن صفحة بيضاء ونجواره قلم
كان قد اهدى مثله لوديع ونظارة تطل إليه بعدستها الميتة ..

١٩٦٦



الناموس

القنبلة الذرية - سائل مييد - انتشرت في الريف ؛ بفضل المكتشف
الدكتور " فيرا "

تعرف إليه صابر في إحدى مقاهي المنصورة ، إنسان جذاب ، لامع
الوجه ، يسحرك بكياسته وبشاشته حتى لتود أن تعانقه ، وتسعد نفسك
عندما ترى أصابعه منفرجة عن بعضها والمال يسيل من بينها ، فتجبه أكثر
، وتعتربك الآم ممضة ، حين تحال أنك تخفى في صدرك عنه سرا أي سر ،
فيحملك الألم ، علي أن تقول له كل شئ عن حياتك ، مهما كانت
تافهة؛ وان تنضو عنك ثيابك أمامه ، بلا خجل ، فهو إنسان يؤمن ؛
كتوم ، محبوب ، الكل يثق به ، فيلتفون حوله .. كان كشعاع يجتذب
إليه الفراشات والهوام علي السواء .. ولما طلب إليه صابر خدمة ..
خدمة بسيطة أن يساعده فقط في إيجاد عمل بعد أن تورمت قدماه من
وعناء الطريق ..

تنحى الدكتور ومط شفتيه الحمراتين :

- تعرف تقول إنشا .. ؟

أراد أن يقطع شكوكه ؛ فقال : وقد ثني ساقيه وأدخل قدميه تحت فراغ كرسيه المقعر ليخفى الثقوب في حذائه

- وخطى كويس كمان .

- قم معايا

قبل أن تندرج بهما العربة ٦٦ أجرة دقهلية علي طريق عزب (المعدمين) .. أطلعته علي صياغة مكتوبة وأمره بتلاوتها مرارا حتى يستوعبها.. وهناك ألهب كسل الفلاحين الذين خرجوا من عششهم وأكواخهم الكالحة ؛ وهم يفركون عيونهم ويتشاءون .

لما همس صابر في فوهة ميكروفون صغير اصطحبوه معهم ؛ خرج صوته برغم الهمس والحجل الذي يصاحب أمثاله عادة في بداية عمل ما ؛ خرج ضخما أرعد ؛ تجمعت علي الره جموع أخرى ؛ جاءت تعدو من الأراضي المجاورة ؛ تنفض عنها حبات العرق المزروعة في لحاهم والنابتة فوق جباه لوحنها الشمس .. التفوا جميعا حول العربة وقد اشترابت أعناقهم وتناولت ألسنتهم ، لم يكونوا بلهاء كما كان يحكي له ، ففي الوقت الذي ظل فيه صابر يردد مآثر القنبلة الذرية (المصرية) وفضلها علي العباد ؛ ويعقد مقارنة بينها وبين قنبلة الأمريكان التي حرقت الناس والزرع في هيروشيماء ؛ مبينا أن الدكتور " فيرا " خريج جامعات ألمانيا

والذى سهر الليالي فى سبيل راحتهم ، حتى استطاع بمثابرته وبروح العلم الشريف ؛ أن يعثر علي التركيب المذهل لذلك السائل الفتاك الذى يقضى علي البق والناموس والحشرات التى تمتص دماءهم وجهدهم ، لقد راعي أن يكون سعره فى متناول الجمهور ، بحيث يستطيع الحصول عليه الغني والفقير ؛ بأن جعل ثمن القارورة عشرة قروش ، ثمن علبة سجائر بلمونت!

.. بدا أنهم لم يعرفوا شيئا عن هيروشىما ؛ حتى كاد يرتج عليه ويتهدج صوته من فرط فشله فى إقناعهم ، ولأنه كان يفهم أن قيمة الشئ ليست فى ذاته ، ولكن فيما يحققه هذا (الذات) من تغيرات ، ربما لأن كلامه لم يحقق الآمال المرجوة فى أن (يهرش) كل إنسان ويسقط يده فى جيبه ويخرج العشرة قروش المعقودة - حول قطعة قملش - ستين عقدة ، إذن .. هل يعد الآن بنظر الدكتور فاشلا لأنه لم يستطع أن يفض هذه العقدة ؟ وهل سيستغني عنه ؟ .. ويقتات علي الجوع والبطالة .. أم ..

طالعه من بين الوجوه العديدة ، عينا الدكتور ، وهو منتصب فى أنفة بجوار مقدمة العربة التى استقرت فوق (بوزها) قبلة ذرية ؛ فى غلاف مشر جذاب ، وعينه تلسعه بنظراتها ، كمن تحته علي الاستمرار ، فالموقف يستدعي أن تسكب فوقه بترولا .. النفوس بحاجة ماسة إلي من يلهمها قبل أن يفرغ حماسها .. قل .. استمر أشحن لسانك وأطلقه .. واستمر

صابر ..

ما كاد يقول : أن الشركة الأهلية بشارع نور الدين بجوار السيدة زينب، هي التي انتجت القنبلة ، حتى إرتفعت الهمهمة ، إخترفت امرأة عجوز ، بعين واحدة الحلقة المضروبة حول العربة ، دسست يدها في صدرها وقالت: نظرة يا أم هاشم .. آه يا صحة الشورى ، هات كنبلة يا دكتور

.. لم يدر صابر بعدُ إلا بأكف الرجال والنساء تمتد ناحية الدكتور ، راجية إياه أن يتكرم ويؤزل الكمية الموجودة في شنطة العربة لحسابهم الخاص ، فهم أحق من غيرهم بها ، بينما راح أحدهم يسب وزارة الصحة التي تساعد الناموس عليهم ، حتى أصبحت الناموسية في حجم الجاموسة .. ولحكمة لا يعلمها غير الله ، رفض الدكتور قيرا الزول عن رغبة الناس ، علي عكس صابر تماما الذي ود أن ينتهي كل شئ بسرعة ليجلس في القهوة ، يدخن ويستمتع بالشاي وفي جيبه قروش فضية ، لها رنين يقدسه الجرسون ، إلا أن الدكتور علل الأمر علي هواه متذرعاً بأن الكمية محدودة والأمر ليس بيده ، لأن الشركة طلبت إليه أن يضع في كل بلد خمسة أو عشرة قنابل كنواة لتجربة كبرى ، بها يقضى الإنسان علي فشله الذريع الذي صاحبه طوال الستين الماضية ، حين يقضى اليوم علي الناموس الذي يقض مضجعه ، لكن الفلاحين الحوا عليه مستغيثين بالسيدة وأولياء الله الصالحين .. في هذه اللحظة ، كان لابد أن يقع شئ،

لابد أن يكون هناك تحول في الموقف ، علي الأقل من جانب الدكتور وهو وإن كان خواجه واسمه فيرا ، إلا أن له قلب إنسان ، أخيرا ، استجاب تقديرا لكرم (الست) .. ولكن حدث أن إنقلب هذا الموقف رأسا علي عقب ، حين تقدم من صابر شاب أسمر أخرج قلما كئيبا من جيب قميصه الدمور الفضفاض وقال :

- عنوان الشركة فين بالضبط ؟

أجاب الدكتور بإعتداد وثقة :

- ورا مقام الست يا خبيبي .. شارع نور الدين .

أحس صابر أنه مزيف ، لا يدري لماذا ؟ ربما لأنه حول الحطب إلي (الحطب) عملية تبديل لفظي اسقطته من نظره ، فالحاء قلبها خاء ، وهو الذي كان يتكلم مع السائق بلسان أولاد ميت حدر والحوار ، وإذا كان يعتقد إنه لابد أن يكون خواجه لكي يثق الناس به ، فهو اعتقاد ليس له مبرر ، وراح يسأل نفسه : هل هو بصحيح ؟ وإن كان ، فهل هو خواجه أمريكياني أم خواجه مصري ! فلقد صادف في حياته ناسا كثيرين يلسوون ألسنتهم ..

قطع عليه السائق حبل أفكاره وهو يدور بعربته علي الطريق . البلد دي باين عليها مهيبة يا زكي .. اسمه زكي .. لا شك أنه مصري لكن ، ما الذي أجبره علي أن يتحلل صفات الغير وأسمائهم ؟ .. الدكتور فيرا

.. الخواجه ؟ تحايل علي العيش ، مثلاً أو .. ربما .. آه .. الحياة ..

سيجارة يا صابر ..

تناولها منه وراحا يثرثران داخل العربة التي أخذت تنهب بهما الطريق
فهما:

- أمتي حانجب الدوا من الشركة ؟

- شركة ، إنت باين عليك لسه عيط ، أنا اللي باعبي القزاز منى ..

مـ .. قاطعه السائق وكان يبدو أنه يعرف الكثير .. ميه وسخة ، ها ..
ها ها ، إعتلت لم زكي إبتسامة وقحة ، أراد صابر أن يصفعه علي وجهه
، أن يجعله يصرخ ، كي يدفع عن نفسه قفمة الغش ولو بالكذب ، ولكن
الذى ضايقه ، أنه جلس ممدداً رجله في (دواسة) العربة وقد بلدت اللذة
أحاسيسه المتدفقة من أوراق البنكوت المغسولة بعرق الفلاحين والحق
انحشرت في جيبه .. وأراد صابر أن يتفرد في ملامحه ليتأكد - الآن -
من مصريته ، هل هو مصرى حقاً أو خواجه ؟ ولكن سحابة كثيفة من
دخان سيجارته ، تلوت أمام عينيه ، ولما نزل من العربة بكل همومه شده
زكي وقال : تعال نسكر .. وجلسا في حمارة خلف قهوة أندريسة ،
وأحدث صابر أن الخواجه لن يحاسبه ، بل سيكتفى بأن يسكروه ، ويعشيه
، فالشيطان الذى لعب علي بلد بأكملها ليس من الصعب عليه أن يضعه
في (جيبه) ، وهو أن حاسبه بما يرضى الله ، فلسوف يخرج من الخمار
مديونا له ، بيد أن زكي ، كان سخيا معه ، فألقاه يومئذ ، ونفحه خمسين

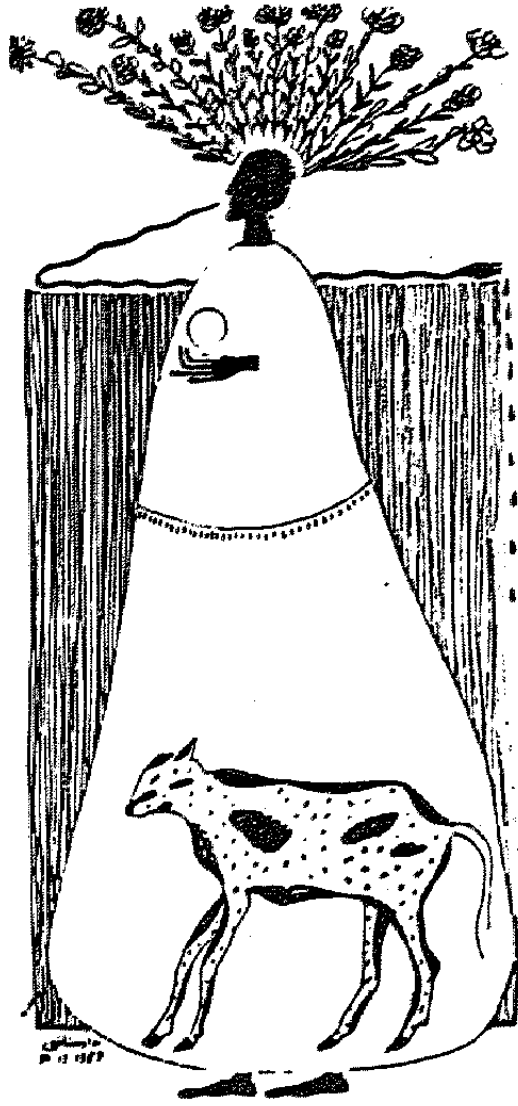
قرشا كسلفة يتاع بها قميصا نظيفا ، علي أن يسدها في المستقبل ..

- المستقبل !!

دارت رأسه .. هل ستأتي الأيام مفعمة بالناموس والخمر والغش ؟ أي مستقبل يعني ؟ ولكن هل لمثل هذه العلاقات من مستقبل !؟

واشترى لأمه كيلو موز كانت نفسها فيه ، وضع الكيس فوق صدرها ، بعد أن فتحت له الباب ، تربعت علي الحصر ، جعلت تستمرئ طعم الموز وتحرك شدقيها علي مهل ، بينما تمدد علي السرير وقد أحس بأمعائه تتمزق ، وراح يتقيأ ويتلوي من فرط اختناقه بالحيلة و .. القسوة ..

جريدة العمال / ١٩٦٦



سر الخشبة ..

أو أصل اللعبة

هل يجلس ؟ ..

هل يقوم ؟ ..

كل مكان مثل أي مكان ، تنازعه أكثر من إحساس في دقيقة واحدة ،
فقط إذا كان هناك لأصبح أكثر حيرة وتشتت وبوده أن يكون هنا .. لكنه
ما عاد يطبق رؤية الممثل الذي يؤدي دوره في سلسلة لم تنته منذ الصيف
الماضي ، ظهر أول ما ظهر وهو يقذف بنفسه فوق صهوة فرس (تصفيق)
ناوله أحدهم صينية فوقها كويات مليئة بالماء ، لم تسقط قطرة واحدة
علي البساط (تصفيق حاد) ..

قال أحد الممثلين داخل الشاشة ، براعة ، رد آخر ، لعبة قديمة ،
لوقت ، دخل المهرجون في كرنفال ؛ دهنوا الوجوه والجدران بلون واحد
-الآن- لا أحد يعرف الوجه الحقيقي من الوجه المدهشون ، اندلقت
الألوان فوق الأشياء ، مات الجميع من الإغراق في الضحك .. أن يموت
الناس بالضحك ، سلاح الكوميديا الخبيث ، أفضل ممن أن يفتسوا
لسبب آخر .. أنظر ! .. كيف خلع الممثل ثيابه ليؤدي النمرة الثانية ، ها

هو ذا يسقط في البئر ليصطاد أشلاء أوزيريس .. يا أوزيريس العصر ،
لماذا فقدت عضوك التناسلي ؟ من ضيعك وضيعه ، أوزيريس من مزقك
ومزقه ؟ الغيرة . لا . أمك إيزيس . لا . أختك إيزيس . لا . تزوج منها
.. لأجل الخصوبة والنماء ، لتدفع رياحك الرخية جميع السفن المحملة
بالبطاطس و ثعابين السمك المدفونة في الأرز ، أكلة بسطاء شعبك ممن
كانوا يعمرون الوجه البحرى قبل أن يكف النيل عنهم يديه ، (الجمهور
في الصلاة ظهر عليه القرف فدفن يديه في جيوبه) .. يا قهقهات الأمس ،
أغسلي عن صدورهم التعب إجعلي الأمطار تسقط من عيونهم تعالي .. فه
، فه ، ترن ، ترن .

ياله من ممثل قدير ..

إذن ؛ ما دمت اعترفت ببراعة الرجل فلا تثريب عليك ، بغض النظر
عن عدم استلطاكك له يوما ، فهل ترضى أن تبتعد عن هذه الوجوه ،
بسمرتها ، بمصريتها ؟ حقيقة أنت مندهش لهم ، أعجبتك بساطتهم
تقرزت لوضعهم ، لولا الخطوط المحفورة علي جباههم لما ظللت تحترمهم
، علمتك الخطوط أن لكل منا طريقه ، الحياة ليست إلا طريقا ذى شعب
، كل شعبة يتفرع منها عدد آخر .. أُلخ مثلا ، استرخاؤك في كرسيك
أمام شاشة التليفزيون يعني إحدي هذه الطرق ، الآن ، كف عن سقطتك
وشف .. عاد أوزيريس أو لم يعد ، ليس مهما إنك تمتلك عضوك
المخصب ، لنهنا بالعيش ، كأي سلطان أدبر ، أو أمير أغبر ، أو قل أغسا

ركب أقفية الناس يوما .. أو لتكن طور الله في برسيم يرتع ، مسوط ،
إذن استرح أمام الشاشة من غير كلام تصلك الصور .. لا .. ماذا ؟ ..
التاريخ يعيد نفسه ، ياه ، إتقوه ، ضع نعليك المرقعتين في وجهه ، نحن
أبناء اليوم ، عفا الله عما سلف ، فقط تابع الموقف جيدا ، ها قد استدار
الممثل ليروح بدلوه البئر ، الدلو يصر ، تنز قبضته أزا .. أزا .. ترون ..
ترون .

ويسدل ستار علي المشهد الأول

- منذ متى ونحن أصدقاء ؟

نظر شاب إليه ، بدا كأن الأيام التهمت وتتركته جلدًا علي عظم .
وضع فوق يديه طاولة صغيرة ضمت عددا من لقيمات معجونة بالعجوة
(بسبوسة .. عجمية) . أنسيت ماضيك يا رجل ؟ .. يلعن أبو كل
ماض .. أجاب في استفسار :

- منذ متى نطن ؟

- أيام المعهد الديني .. ألا زلت مالكيا ؟ ..

العمائم الخضراء والبيضاء تسير بوقار جحافل تأكل الكتب الصفراء ،
تعيش في دفتي كتاب ، تموت بين جلدتي كتاب ، تشرب الحكمة من
رأس غراب أسحم ، هنالك . لا يقدر أي إنسان أن يحس شراشيب

عمامتك ، العمامة لها هبة وكرامة يا ولد ، من يوقع عمامتك علي
الأرض فكانه اسقط شرف الملك ، الملك شيخ زاهد في قفطانه ترقد
داعرة ، الملك كريم المحتد ، لا يعلق بأدارانه أي خبث. الراعى راض علي
كل النعاج التي تشغو في صمت .

ياله من ماض ..

كيف احتوى عقلك هذه الصور .. لماذا اسرعوا بقذفك إلي الشارع
حين اختلفت معهم حول كيفية وضع البني آدم سواء كان معمما أو
مطربشا ؟ ، والدرس ، لا يزال جرسه يملؤك : كلامنا لفظ مفيد كاستقم
.. براعة الممثل في كلماته ، لسانه يقطر السحر بعد أن عثر علي جمجمة
من قطعت أوصاله .. قابله النظارة بعاصفة من التصفيق .. ها قد وصلنا
لرأسك يا أوزيريس ، بيد أن النظارة وجها إذ تبينوا به ثقبين .

قال أجدادنا الذين عاصروا أوزيريس أنه هو الذي أحدث ثقبه
لتهوية يافوخه الذي كان يشتعل بالأفكار ، وقال عالم الحفريات أنه
أحدثهما بنفسه علي احتمال لو أعجزه التعبير يوما فسيشير إليهم
بالإطلاع علي هامته .. بينما عزت رواية أخرى سبب الموضة التي
شاعت في ذاك العصر إلي اتجاه تفكير الناس العلمي مؤكدين طريقة
تفكيرهم بفتح مثل هذه الثقوب في الرؤوس ، إذن لم يصل البطل إلي شئ
.. ما كان من النظارة إلا أن تلوت بها رغبة المشاركة في رحلة استعادت
الأوصال الأخرى ، مثيرين من تحت أقدامهم ذرات التراب العالقة

بأحذيتهم .

إنته البطل ، أفاق من نوبة إندماجه ، جاء حرس المسرح ورجبال
المطافئ بخوذاتهم اللامعة يستعطفون النظارة لكي يصمتوا مستعينين علي
ما يروونه بالصبر ، تحولت القضية إلي ندوة حضرها جهابذة الفكر مدللين
علي أن من يرى أفضل من الذى يتكلم .. جذب المخرج شعر رأسه
وأكله ، صاح وراء الكواليس : ليس مكتوبا أن يشترك آخرون من غير
فريق التمثيل فى الأداء .. إنزلوا .. استهجنتم النظارة الطريقة التى أبعادوا
بها عن الخشبة .. امتص حرس المسرح سخطهم قائلين : إن ما يجري
أمامهم ما هو إلا تمثيل ، لكنها الدراما العصرية تفعل بالناس فعل السحر
.. يا للفن العظيم الذى يلهم ..

ان ما رأيتموه أيها السادة والسيدات ما هو إلا نذر يسير ، فقط ،
دعوا الرجل يلعب دوره وإلا فشل العرض وأصبحتم من غير مسرح ،
من يصرف علي فرقنا ؟ .. المخرج هو الذى يختار المسرحيات ، المخرج
يخطط للفرقة ، المخرج يمول الفرقة ، أما الممثل فيلتزم بالنص ، ممتلككم
فد، ممتلككم لا يخرج علي تقاليد المسرح الكلاسيكي ، محال أن يحدث
تغيير وإلا يصير مآل هذا إلي السقوط . محال أن تتداعي أعمدة المسرح
فوق ظهره بعدما نمت مواهب شابة علي يديه .. لا . لا . من الذى قلل
للبراعم أن تموت ؟ .. قلت لكم أن المخرج ليس من اتباع بريخت .. فهيا
اجلسوا فى مقاعدكم لتنعموا بالعرض .

ترددت في جنبات القاعة ضربات الخشبة التقليدية .. تم .. تم .. تم ..
وأسدل الستار علي المشهد الثاني .

- هات واحدة يا شيخ علي

نفذت جميعها . التهمها الحشاشون . لاحظت دوما أنه أثناء تعاطيهم
الحشيش كانوا يكثرون من أكل الحلوي .. يا ليتك انتبهت .. يا الله .
رزق الشيخ علي . لهج لسانه باسم الله ثم اتكل على الرزاق وسار ..
الجوزة دارت ..

الشاشة قالت ..

(بعد قطع أكثر من مليار تذكرة للسفر إلى الفضاء الخارجي إنجبه
الرأي لعمل قرعة ، من يفوز بالقرعة يري الجوزاء .. الآن ، لا أحد
يكسب ، لا أحد يخسر ، لنعش حياتنا كالديدان الوادعة في أحضان
الطبيعة الأم كما قال الصديق ..) .

زهق لطول الصمت الذي يرشح في أعماقه ، الصمت لزوجة يفص بها
حلقة ، فكر أن ينحن أمام أي طاولة يشترك مع الجالسين في أي لعبة ،
آه لو أنك بدأت برمجة زهر موفقة في أرجاء الطاولة لانقلب ميزان
الوضع في المقياس . حال معرفتهم أن في الميدان لاعبين يجيدون اللعبة

وَألف لعبة ، سيصبح لك شأنا آخر .

الشاشة قالت :

(... ...)

الجوزة دارت ..

شخشخ الزهر بيده بينما الآخر يستحثه :

- ارم .. العب .

- اللاعب الماهر لا يستعين علي الفوز بأحاسيسه الطيبة .. ما دخل
النوايا الحسنة في اللعب ؟ .. انظر .. برمية زهر حاذقة تسروح عليك
العشرة ، ها ..

يا أم رأسك ، ضربت في صميمك ، من الأفضل أن ترخي عضلاتك
الآن ، خل كرسيك لغيرك ، واستمر قذف الزهر . التف حول اللاعبين
بعض الأصدقاء ، اتبعت الحلقة ، ضاقت الحلقة ما من مخرج إلا أن
ينهزم أحدهما لتفرج الحلقة ، ثم تضيق حول لاعبين آخرين ، المدهش أن
بعض المتفرجين كانوا يتحمسون للاعب دون آخر .. لماذا ينحاز الإنسان
لجانب واحد فقط ؟ .. لأنه أعمى .. أم أن هذه عادة كل لعبة ؟

آه ، هذه مسألة ستنتظر فيها حالما ينحسر الألم في رأسك

أوقف سائق سيارته المحملة بالركاب أمام باب المقهى مؤثرا أن يشرب

تعميرة قبيل استثنائه لرحلته .. بعد أن غرق في سباحته لا تلمري لساذا
قلت له :

- استولت الجبهة الشعبية علي طائرة العال .

لم يدرك ما تعنيه فاستفسر وهو يقضم قطعة الحشيش بأسنانه :

- من ؟

- جيفارا مات

- ...

- يظن فقراء شارعنا أن الموت أصبح سائرهم الوحيد .

- ...

- انقطعت أحبال زوجتي الصوتية .

- ...

- استولي الجيش علي عصا سوكارنو .

- ...

- بعد أن زكمت العفونة أنف أمي طالبتني بزرع الكنيف ..

- ...

الجوزة دارت

الشاشة قالت :

(جو مائل إلي البرودة)

لف الكوفية حول رقبته ، طلب السائق حجرا لكي يدفع فروة رأسه ،
دعك الجرسون جمرة في مصفاة الشاي القديمة ، تفتت الجمرة كحبات
الرمان فوق الحجر ، عاد للعبة التي لم تنته ، يبدو أن الحظ لم يسوات
اللاعب الذي حل مكانك .. قام تأرجحه الأنفاس :

- إلي النوم .

علق الفائز .

- الذى ينهزم علي الطاولة ينجح فوق الفراش ، هل هذا صحيح ؟

أجاب المهزوم .

- ما دامت الحالة هذه سأنهزم أمامك

ضجوا جميعا بشبق جنسى كانوا يستحضرون لوازمه كل ليلة جمعة ..
فجأة اندلقت حفنة هواء من فرجة الباب الزجاجي اثر دخول شباب في
بزه عسكرية :

صاح :

- النور يا جماعة .. اطلقوا النور

- غارة يا معلم .

انسحب الضوء عدا التلفزيون الذى ما زال إرساله مستمرا ، ابتلع
الظلام طبقة الدخان الكثيف المبق بالذهول فدارت ودارت حتى خرجت
إلى الشارع بينما ران علي الجميع صمت بليد ، فجلسوا يحملقون في
الشاشة .

كان الحرس قد عاد ينفخ في الأبواق : يا عالم ، المخرج بني مسرحه
علي شكل هرمى ، أعني تجربي ، دعوه يتجه بتجربته هذه المرة ناحية بحر
الظلمات ، حتى يستعيد لكم مراكب الشمس .

الجمهور داخل الشاشة انكمش ، الجالسون في المقهى تسألوا عن
سبب السكون الذى حل بالقاعة ، قتم بعضهم ، لابد أن في الأمر سر .

١٩٦٧



رجل واحد ينازع البقاء

لكم أخذت الأزمة بخناقة ! .. مزقت أحاسيسه .. ذهبت بقدراته
بددا .. لكنه يعرف سلفا مقدماتها وأسبابها ، وإن كان لم يغب عن ذهنه
- كذلك - كيفية حلها .

هو قبل كل شئ رجل رقيق الحال ، له من الأولاد ثلاثة يدين بلقمة
عيشه للثورة ، إذ لولاها ، ما كان عاملا في إحدى شركات القطاع
 العام، إلا أن هذا التحول في حياته ما تم بسهولة مطلقا بل ظل - في يقينه
- يدفع من أجل الحفاظ عليه ، هناة أولاده وكل الضروريات البسيطة
 في الحياة ، وكلما اشتد الضغط من الخارج ، انعكس أثره في معاناته ،
 بسبب اختفاء إحدى السلع التموينية أو من تلاعب التجار بأسعارها ،
 فما كان يملك إزاء حالته ، إلا أن يقف أمام مكتب رئيس الحسابات
 المشرب وجهه بحمرة :

- لن تحل مشكلاتنا إلا إذا دخلنا تل أبيب .

بطريقة بعثت علي ارتياب بعض الموظفين في عقله ، حتى رماه بعضهم
بالعته :

- موتور ..

- دماغه تعبان ..

عندئذ يدلف إلي مكتبه في صمت ويظل يمتص دخان سيجارته ، ثم بدأ
نفسه المتوترة من فرط اشتغالها !

في الصباح ، وهو يرتدي سرواله ، قالت له زوجته وكانت البقع
الزيفية قد بدأت تنتشر في وجهها .

- سلامه مات ..

لم يصغ لها ، بل راعه بشاعة وجهها الذي استحال أنفه إلي قطعة
جيرية ، ربما لنقص فيتامين أ ، ب ، أو ج .. أو تعني البلاجرا ؟ غطت
البقع الطباشيرية مساحات من خديها ، استعملت في علاجها صبغة اليود
بشرقا السمرء المدهونة بالسائل الأحمر كشفت عن دماغه لا يجدها
إنسان إلا في حجرة ضيقة تنشع بالرطوبة ، وتفوح في جنباتها رائحة
البريص وأنفاس الصراخير .. مسكينة . قالت :

- اليوم جاءوا له بالخشبة

- من ؟

- سلامه

- هل مات حقا ؟

- منذ عشر سنوات لم يجد أحدا يدفنه ، يقول الجيران أن زوجته قد غطته بالواح الثلج الذهبية .

- تعني البيضاء ..

- الثلج الأسود يخفي رائحة الإنسان ويبعد الغربان عن الجثث ،
وسلامه ، كان يتسوق للتجار الكبار الذهب والفضة من الأرياف ،
وأحياء بلدتهم الشعبية .

وكان رآه لأول مرة منذ حوالي عشرين عاما ، عندما دخل حارثم
مرتديا جلبابا أبيض وفي يده شنطة جلدية قديمة وعلي رأسه طربوش
متسخ الحوائى ؛ وبين فترة وأخرى يرن صوته :

- ذهب قديم ، فضة قديمة للبيع .

فأدته أمه :

- تعال يا خواجه سلامه

باعت له (لبة) ذهب وهي تقسم له بأيمان المسلمين والنصاري بأن
زوجها - المرحوم - اشتراها لها في أيام اليسر بسبع جنيهات .

فهم عن أمه ، أنه كانت مروت بالناس - علي أيامها - أيام يسر

ولولت الأرانب خلف أبيها ؛ خال أنه يحبيهم برفع يده من تحت غطاء صندوقه الخشبي ويطلب منهم الثبات والصبر ، أما الزوجة فقد كانت تحتضن الصليب الخشبي الموضوع فوق عربة دفن الموتي . حين بدأت العربة في السير يجرها حصان هزيل ، برزت قوائمه وضلوعه بشكل يبعث علي الأسى .

انتفخت عروق الزوجة من فرط الصراخ ، لكن بغير صوت وهي ما تزال تحتضن الصليب وتحك صدرها به .

قال الرجل لامراته بعد أن فرغ من ارتداء سرواله ووضع قدمه في الحذاء:

- مسكين .

- من ؟

- لا أخال أنه يستطيع مواصلة الرحلة .

- من ؟

- ذلك الحصان .

امتلا صوتها فرعا :

- حصان !! .. أقول لك سلامه جارنا مات ، تقول لي : الحصان ..

- ولماذا لم يسعفوه ؟

- من ؟

- تجار الذهب .. لماذا لم يحقنوه بذهبهم ؟ .. لماذا انهم عقد بقاءه علي

الأرض ؟

- البقاء بيد الله .

تمني أن يقبلها ، بيد أنه اشفق علي نفسه من دوائر الطباشير المنتشرة
حول الأنف والفم ؛ غير أنه مزق شفثيه بابتسامة .. وذهب ..

ما زالت الأزمة تأخذ بخناقة .. والفم عطشان وأوصاله تختلج . لوح
لسيدة تمشى في الطريق من غير أن يعرفها ، رفت ابتسامة علي شفثيها ..
تبعها .. قالت له :

- زوجي يراني ..

سأل زوجته عن زوج هذه السيدة ؛ أشارت إلي رجل عجوز مقبل في
نهاية الطريق المجاورة للسوق ويده سلال مملوء بالخضروات قالت :

- علي المعاش

أدرك أنانية هذا الرجل وتشبثه بالحياة ، كما شعر هو بالطمع !! . إلا
أن هذا الأمر لم يحل بينه وبين خياله ؛ فراح يستعيد شفيتها المتلتين وهما
قميسان : زوجي يواني .. كانتا حلوتين حين كشفنا له عن رغبة مكبوتة
تفجرت من طاقتي أنفها وأخذتا تتسعان وتتسعان في شراسة معرودة ..
لاشك أن نظراتها الرقيقة الساخنة استحالت - نتيجة لضعف زوجها -
إلى صرامة قاطعة .. آه ؛ لكم تمنى أن يصوح ببيعها هذا أو يحرقه !!

لاشك أنها غنية ..

والغنيات في بعض الظروف لا يلقين للفقر اعتبارا حين تستبد بهن
رغبات أخرى مضللة .

ود أن يخبرها برغبته ..

فماذا يقول ؟ .. هل يقول لها مثلا أنه يود أن يأخذ مكان زوجها إن
شاء الله بعد عمر قصير ؛ ويتمرغ في جوع صبياني فوق سريريه ؟ .. أم ..
أم ..

قرأت هي أفكاره ؛ طمأنته قائلة : (سألقاك يوما) .. هل تعني ما
تقول حقا ؟ لسوف يعيش في بحوحة إذن .. لكن متى ؟ ..

وما زال حين يزداد الضغط على صدره يرفع صوته بجوار مكتب
رئيس الحسابات :

- لن نحل مشكلاتنا إلا إذا دخلنا تل أبيب .

ليرميه البعض بالعتة ويرميه الآخرون بالجنون ، حتى يدلف إلي داخل
مكتبه في صمت ويظل يمتص دخان سيجارته وقد حلق فوق رأسه حصان
من الدخان ، هزيل ، قوائمه نحيفة وعظام ظهره بارزة ؛ يخرج خلفه
صليب وامرأة دميمة تنتحب ..

مجلة صباح الخير / يونيو ١٩٦٧



مولد الذى يُنتظر

.. شاهدنا لك يا جرجاوى ..

رددت جوع العميان ومنكسرى القلب الهتاف ؛ أما الموسسون ؛
من جلسوا هناك تحت قبة الكنيسة التى تحتضن صورة يسوع وهو علي
صدر أمه ؛ احتبست أنفاسهم وتسمرت عيونهم إلي السقف .

في لحظات التجلي ؛ رنا الجميع ؛ بقلوب مشوقة إلي بطن القبة المجوف
لعلها تلد ثانيا شهيد الوثنية الذى يمحرق في لباس الحرب محوطا بالضياء ،
وبيده حربة يغرسها في رأس التين المرتعب عند قوائم فرسه الأشهب ..

زعق صوت لم يخف إيمانه :

- يا بطل .

أضاف الرجل كثر اللحية بعد أن دس زجاجة النبيذ في جيب بنطاله
الخلفى :

- يا جيفارا ..

- من ؟ .

لم يجب كث اللحية علي الصوت الوحيد الواعي الذي راح يسئل في المولد، لأن سيدة مفلوجة جاءت من البراري محمولة بإيمانها علي أعناق اولادها ، دفعوه أمامهم .

(.. أعيدوا طريق الرب) ..

قال الشماسة وبين أيديهم صناعات نحاسية يقرعونها ..
ارتعشت لحية القسيس وهو يصلي في أذن امرأة مسجية علي حصير
صرخ في أذنها .

- إذا خرجت يا شيطان من جسدها الطاهر .. لن أقتلك .

تلوي فيها شيطانها الذي ينهل من النبع .. القسيس يعد بأنسه لن
يقتله ..

لماذا لم ينشب أظافره فيها ويخلصها والعالم من عذاباتة ؟ .. دأب
بتمتماته محاولاً قتل الشيطان وطرده من ربة جسدها . لكنه يعود
ليكن مرة أخرى في ينايع الإنسان الرقراقة .. ولولاك أنت يا مطلق
اللحية ما تطوع ابني في تلك الحرب .. قالوا : أنه أسر ؛ ثم أعلنوا فجأة
استشهاده ، وأنت ؛ لم تولد إلا يوم استشهادك ؛ فلماذا لم تأت علي رأس
الجموع وأنت ابني الحبيب الذي به سررت ؟

في لحظات فواقه ، أحس من الواجب عليه أن يقول وأن يتكلم وأن ..
كان الكلام يهرب منه - أحيانا - ولا يتسرب إلي آذانهم ؛ غير أنه .
حينما يستعيد بديهيته وما يكاد يبدأ بتعرية الأمور حتى يقال عليه سكران
.. ضاع بينهم أثناء وعيه وأثناء لارعيهم .

هلت امرأة حين أخذت تنضو ثيابها لتكشف عن (العلامة) التي
بدت كرشاش الزيت فوق قميصها الأبيض ، دلالة علي أن البطل عادها
وتوكيدا بأنها ابنت من مرضها .

- يا مار جرجس .. شاهدنا لك ؟!

خرج من بين الجموع الهادرة بصعوبة ، وصل إلى البوابة الكبيرة ،
حرر أنفه من رائحة العرق والليمون ، استقبل الفراغ الملون بأعلام
المولد، عرج إلي غرزة مظلة علي البحر ، دغدغ الهواء وجهه ، طالع
صدر جريدته للمرة العشرين ، تشربت عيناه صورة من يركب حمارا
وخلفه اتباعه مهلهلي الثياب .. صدح وهو يطوي الصحيفة :

- لقد ظهر .

بعد أن وضع القهوجي أمامه زجاجة البيرة ، سأل في لهفة :

- أين ؟

- في أحراش بوليفيا .

افترت شفتا القهوجي عن بسمه غباء ، ظهرت خلالها أسنانه المذهبة ..
راح ينفخ في النار وهو يرص حجرين لبعض الزبائن .. ثممة بعض
الفتيان تتوسطهم فتاة .. جذبت الفتاة نفسا طويلا من غابة الجوزة بينما
أصابعها تنقر عليها في رتابة :

- مساء السطل ؟

أجابها مفتول عضلات الساعدين بلسان ثقيل :

- مولد .

- صاحبه غائب .

جذبها الذي قال من يدها إلى الخارج حتى ابتلعهما الظلام الضارب
أطنابه في الخلاء اللامحدود .. رعدت الرغبة في أجساد الآخرين ، تموجت
في عيوقهم الأضواء حمراء ؛ زرقاء ؛ صفراء في شكل الموت ؛ أما حين
دفقت عروقهم الرغبة ، صارت الحياة قوس قزح من جديد ؛ وأنت ؛ يلد
حييا ، كنت نظرا ؛ مزهرا ؛ يعبق الربيع بأنفاسك .. لكنك .. آه ..
قال من لا يعرفه بعد أن جلس بجواره :

- هو أنت ؟

دفع إليه الزجاجاة وقال :

- اشرب .

- يا كافر

شمر عن أكمامه ، بدا مسيحه - الموشوم - إنسانا آخر غير الذى عرفوه - فوق صليب يتعذب له :

- انظر ! .. أنا مؤمن

- عمدت ابنك وهو صغير ؟

هز رأسه نفيا ..

- إذن فقد مات كافرا .

- لكنه سقط وهو يدافع عن العدل .

- تعني ..

- أجل

التفت يمنة ويسرة ، لم يجد أحدا حواليه ، فكر أن يسأل القهوجي
عمن كان يحادثه ، بيد أنه لاذ بالصمت خوفا من أن يظن به الظنون ؛
فطلب زجاجة بيرة أخرى ، أخذ القهوجي من بين قدميه الزجاجات
الفارغة ، وضع أمامه واحدة ممتلئة ، مرر لوهتها علي شفتيه ، جز بأسنانه
عليها ، تجشأ ثم أحس بالغثيان والرغبة في البكاء .

- مسكين .. مات ابنه في الحرب .

رد الزبون :

- وقعت في حبال الخمورجي يا أخ ، ليس هناك أولاد ماتوا ولا
حرب ولا أحزان .

وهو يسير إلى مكان ما خلف الغرزة ، تلوت قدماه ، فك أزرار .
بتطالونه ، والبدر ، قبالة في البر الغربي ، يبدو كمنجل يحصد آلاف
النجمات ، لا يفصله عنه سوي البحر الممدد في صمت ، بينما أصابعه
تحك شعر رأسه كأنما تحفر منجما غنيا بالذهب والحجارة !

مجلة " المجلة " / ١٩٦٧



النبي يموت في حجره

امتزج عرق النهار بترابه فوق جسده ، فكونا طبقة لزجة عليه ،
التعب مناشير تقطع أوصاله ؛ ود أن يغيب عن أحاسيسه المضنية ، أندس
بين أولاده علي السرير .

في الليل ، سعت إليه أمه ، خال أنها نقرت الباب نقرتين ، لم يكن
لمزلهم رتاجا ، انفتح الباب أثر دفعة خفيفة من يدها ، ألقى وجهها
مبسطا علي غير عادته ، بدا وكأنه وردة ربيعية تفتت عن أكمامها ؛
وعلي حواف طرحتها البيضاء تساقط ندي الصباح المشرق ، مدت له
يدها بمفتاح عجيب الشكل ، ما رأت عيناه مثله قبلا ، دوره بين يديه
مبهورا ، التفتت إليه وهي تبادره الكلام :

- احتفظ به ..

لم يعد يشك بعد أن وضعت في يده قطعة حديد من أنها تعهد إليه
بالحفاظ علي مزلهم الآيل للسقوط ، والمزل القديم مثار خلاف بينه وبين
أخيه من جهة ، وبين الجيران وبينه هو من جهة أخرى ؛ الجيران يريدون
أن يسطوا عليه ، الجميع قد بدأوا يخططون لمنازلهم المجاورة علي ضوء

الحادث الذى باغت أمه وأودي بحياتها . كل فرد فى جيرانهم وضع فى رأسه رسما كروكيا .. أحدهم راح يطل فى نفسه إلى صورة بناء متكامل ، تدخله الشمس من جهاته الأربع حالما يستولي علي موطنهم ، وحين تسير عيونهم بفرح ثور وحشى يرتجف مستقبله .

راودته فكرة قتل من يلوحون لأخيه ببعض الأوراق الملونة . أصبح يعدمهم خائنين ، خائنون للجيرة ، للعشرة ، خائنون للعيش و الملح ولعياله وآمالهم البسيطة فى أن تكون لهم باحة واسعة يلعبون فيها وغرفة نوم نظيفة ، ومع هذا فقد كان الخونة يتقاطرون علي بابه . يأتون دائما فوق صهوات جيادهم ، كرعاع البقر فى الأفلام التى كان يشاهدها ، تاركين سوافهم فى غير تشذيب ، متمنطقين بأحزمة محشوة بالمال ، فى البداية كان يقول لهم :

- النبي وصى علي سابع جار .

ما كان منهم إلا أن هللوا فى ازدراء :

- ها قد عاد النبي من تجارته بالشام .

انتالت الخواطر علي رأسه سيلا .. وقف بغير شوق ولا رغبة أمام وصايا معلمه ، وهو فتى صعيديا من غير ديانته ، تعلم التجارة علي يديه ، فى أول يوم سرح معه . وضع فوق كتفه بقعة ملينة بالأقمشة وقد ظل

يسكب في أنيه خلال تجوالهما عصارة خبراته :

- لا تعامل الفلاحين بغلظة ، لا تشعرهم بأن الأقمشة التي تعرضها عليهم ارفع من خيوط أحلامهم وأزهي من الألوان التي في أدمغتهم ، إذا هرش أحدهم في ذقنه في تحسر لأنه لم يعد يستطيع شراء متر دمور ، السقي قطعة الدبلان تحت قدميه وقل له : حقها وصل .. خذها ! .. أتظن أنك خسرت ؟ .. لا ستصبح معبودا حين تجني مقابل عطاءك (جبا وعنبا وقضبا) .. ولتذكر أن فرعون مصر كان في صدر شبابه تاجر بطيخ ، أفهمت ؟

لم يبد عليه الفهم ولا الذكاء ، لأن معلمه حين اشترى عمارتين ، وقع هو في حيرة من أمر هذا الزمن الذي يعطي لفرد واحد بالكيله بينما يأخذ معظم الناس بالدرهم .

- احتفظ به .

...

بعد أن ضاق صدره بسبب مشاحته مع أخيه ، فكر في الهرب من الجحر وأولاده ، ردد في دخليته (لكن الفتران تنتظرهما المصيدة في الخارج) ، وقد تمنى في ذات الوقت أن ينطلق علي سجيته ، أن يتحرر من قيود البيع والمخاتله و ..

(.. لماذا يحرم الإنسان روحه من حلاوة الانطلاق والفرجة علي

طبيعة الله الغنية ويظل يحكم علي نفسه بالسجن بين أربعة جدران قذرة؟
لماذا لا يدوس فوق صدر هذه المدينة ويتجه صوب بلدان يوقها بغمر
اقفال ؛ مفتوحة أذرعها للجميع ؟ .. في صحراء الشرقية ، رأي العرب
ينامون وخرافهم في بطون التلال الرملية وفي الصيف كانوا ينحدرون إلي
وسط الدلتا ، شارة الأخوية جواز مرورهم ، من قرية إلي قرية متحررين
من ربقة الأرض ، المدائن بكنائسها ومآذنها ، الكفور والنجوع ، المراعي
بجديها وثرها ، هي ملك لهم ، أية قطعة أرض تروقههم يضربون حولها
سياجا ليقيموا فوقها زمنا ثم يتركونها ليعيشوا في ركن آخر من هذا العلم
الرحيب ، بغير عقد ولا قيد ، هكذا ينعمون بحياتهم ، فعلام يتشبث هو
بمزل واطي تبخله الأرض إلي وسطه ، بينما يصارعه عليه آخرون ؟ !).

.. أحس بقطعة الحديد تضغط علي قلبه ، أراد أن يلقي بها بعيدا ، بيد
أن فاجأه صوتها :

- يا ابني ! .. يا أنقى خلق الله .. لماذا أنت غبي ؟

ود أن يشرح لها خبرة معلمه :

- إذا طلب إليك أحدهم رداء .. إعط له ثيابك كلها .

ستمشي عريانا بعد أن يسحبوا الأرض من تحتك ، لسوف يضمنوك
إلي حظيرة عبيدهم .

وأنا يا أمي لست لي أجنحة مثلهم ، حتى .. ولا أحزمة محشوة .

- إذن ، أغرس أظفرك في الأرض لكيلا تضيق .

في الصباح ، دفع أخوه الباب وقد اصطحب معه أحد السماسرة
والمشتريين ، شعر بأنهم لم يأتوا من أجل معاينة المزل فقط ، بل ليتفرجوا
على أولاده في ثيابهم المثقوبة وتعلله الممزقة ..

- النبي وصى ..

همس بها في أذن أحد (المتفرجين) ود أن يقول لهم : إنه صاحب
عيال وحقه في الميراث لن يكفل لأولاده ميّتا في حظيرة بهائم ؛ فقط ؛
كفوا عن إغراء أخي تستقر أمورنا : غير أن السمسار قال وهو يـدس
أصبعيه في طائقي أنفه ليملاها سعوطا :

- أحل الله البيع وحرّم الربا ..

بالآية تكلم الشيطان ، دور لسانه في حلقه بحثا عن آية تصلح لأن
يرد بها عليه ، آية تحث على التعاطف ، على المعروف .. علي .. لا ..
آية تسمح للإنسان بأن يسلخ جلد مستغليه ليصنع منه أحذية .. آه لو
تسعه الذاكرة .. ولا آية .

عيبه الوحيد أنه لم يحفظ القرآن عن ظهر قلب ، فمعلمه لم يكن
مسلمًا ، وبرغم هذا فقد كان يحفظه كله ، أما هو المسلم أبا عن جد ولا
آية (عزا ذلك السبب إلى سرّ تعثره في البيع وإخفاقه) غير أنه ؛ الآن ،
من الضروري أن تكون له آية وإلا ..

- بسم الله الرحمن الرحيم .

وتناول سكيناً صدئة ولوى لسانه :

- اخرجوا من دارنا يا أولاد الكلب .. اخرجوا ..

جري السمسار والمشترون يملكهم الذعر ، مال ناحية أخيه وهو ~~مخلاً~~

لا يزال ينتفض :

- وبعد ! .. أتريد أن تبيع حقاً ؟

- فقط .. أريد أن أعيش !

- تعال معي ، نسرح معاً ، نعيش معاً ، نأكل معاً .. موافق ؟

- موا .. فـق .

وحين طبق (النبي) وصايا معلمه أثناء تجواله في قري الريف ، شعر

بأقدامه ترسخ علي الطريق ، لم يعد أحد يرى له ثقبوا في نعليه ، وما كاد

يشرع في إقامة أحد جدرانه المتصدعة حتى تلمس باب جاره الذي تقع

بينهما الجدار ، للتشاور ، ولا يدري ما الذي حمل الرجل علي التفكير

بأنه طماع يود أخذ عشرة سنتيمترات من أرضه ليوسع غرفة أولاده ،

صحيح أنهم إذ يتمددون علي راحتهم تضرب أقدامهم الحائط (السدة)

فيسحبونها إلي ذقونهم ، لكنه لم يسفر له عن وجهه مطلقاً ! .. فكيف

لفطن إلي نواياه ؟ .. صاح الرجل في إنذعار :

- إنت عايز تبلعنا .. عايز ..

حينئذ ، أحس بأنه كمن تعرى من ملابسه .. عاوده الحلم القديم .
تأرجحت روحه بين الحنين إلى الإنطلاق في أحضان اذرع مفتوحة لمداين
بغير أقفال ، بينما يعشى بصره لمعان مفتاح مرهم القديم ، الآيل للسقوط
، وقد ألقاه هنيهة ما نفذ خلال عروقه الخشبية من هواء محمل بروائح
مثقلة ، تأتي من الخارج ، تهزه وتكمشه ، وترفرق عيناه قبل أن يحكم
الغطاء حول جسده جيدا ويسلم نفسه لنوم عميق .

الفائزة بالمرتبة الأولى في مسابقة

جريدة العمال عام ١٩٦٧



نيس حلا

قبل أن أدلف إلي داخل المكتب وأغوص في ذلك الركن المترب ،
فوق مقعد من خشب ، لا أدري كيف الهبني الحماسة بسياطها ،
وساقتني إلي أمر مكاشفة زميلي في المكتب ، بحقيقته .

هو رجل أكبر مني بكثير ، قد عمل تحت إمرة الخواجات أيام كافوري
والبلجيك ، حين كان عمال الدريسة يتقاضون ثلاثة قروش ونصف
قرش ، نظير مد الخطوط الحديدية وسط الدلتا وربط القرى بعواصم
المديريات ، يومها ، تعلم الصلاة وأجادها ، حتى علت جبهته (علامة)
في لون حبة الزبيب المحروقة .. أضفت حبة الزبيب علي شكله هيئة
صاحبه إلي أن عملت معه .. لكن بعد أن تبدلت الحال ، وغدا شبه
متخم في وظيفة مستقرة ، تحركت تحت جلده أشياء كثيرة ، لم يجلسها لي
بالطبع بيد أي اكتشافها تتفاعل تحت سطحه ، فتنعكس علي تصرفاته
(.. لأن العيش أصبح مضمونا ؛ والمرتب وفير ، فلماذا لا يتطلع إلي
فوق ويحلم بالثلاجة والسيارة نصر ، وليطلق سنين الشقاء بالثلاثة ،
وليدع ثيابه المبللة بالعرق تسقط عنه ، يتحرر منها فقط . فلكم ارهقته
خشونة ثيابه وأدمت جسده ..

والإنسان ، كأي آلة أخرى ، لابد له من قطع غيار جديدة ، بعد مرور كل فترة ، وهو أن حاول استبدال حياته بأخري فلن يؤاخذ أحد ، فالفرصة متاحة (ورياح التغيير تهب) ..

ومع إني احترم رأي الغير ، إلا أنني أدركت خطره هو علي ، إذ كان في تحركه بين مكاتب الإدارة وجنباها ، يصلصل ويقعقع كأنه يجابه عدوا مستخف في الدهاليز ، حتى ليصبح (الكل في الكل) .. وأضيع أنا ، ولا يتبقى لي أية قيمة ، بعد أن وضعني مرة تحت نابه ومرة في جيبه ، أخيرا .. أحالني إلي مسمار في كرسي ، لا يفعل شيئا ، بيد أنه يفعل به كل شيء ، كان يدق رأسه الصلب باسم اللوائح ، ومصلحة العمل ، فيغوص مستقرا في الأخشاب ، إلا أنني لا أكذبكم القول ، إذ كان أفضل بكثير ممن عرفت .. علي أقل تقدير كانت تسكره الكلمات ، فيتنشى ، وينمايل كأهل (الطريق) الأصفياء لما تستبد بهم كلمة الله ، وكان يصفو ويتبخر مع دخان سيجارته ، ويدوب في الألم ، حينما كنا نثرثر مع احتساء القهوة ، ويستوقفنا الإنسان بمشاكله في فيتنام وسنتياغو ، ساعتها ، أجده مهموما وقد اتخذ سمة التفكير الجاد ، بيد أنه كان ينقلب شخصا آخر وينقلت من المكتب إذ تناهي إلي سمعه صوت المدير علي السلم ، وبين المدير يصعد ، أراه هو يهبط وحين يضع يده في يد المدير مسلما ، ترتفع مؤخرته إلي فوق ، ويختفي رأسه بين فخذيه ، ولا أكاد أري غير حبة الزبيب وهي تكبر وتتسع في جبهته ، ويضيع من حضني في صلاته ، وتتبدد حرارة الأحاديث التي كنا قد أثرتها معا وتتجمد ،

وأظن أقدر ذهني مكونا صورا ، عن حال عمال الدريسة أيام كافوري ، هل كانوا ينكفون علي وجوههم ؟ .. فيرتعش قلبي فرقا وهلعاً ، ولا يسعني إلا أن أسخط علي زميلي وقد بات الألم حجرا معلقا في صدري .. لماذا يصنع الناس بأيديهم السلاسل ويتلفعون بها حول رقابهم ؟ .. إذن لسوف أوقفه عند حده ، حرصا علي آدميتي من التلف والبوار ، مع الاستفادة بمحاوراته السابقة معي فقد يفيدني كثيرا أن أعرف طريقة تفكيره وكيف يعبر عن أفكاره بلسانه .. قال لي مرة : الإنسان حقوق بطبعه ، ولما سألته عن مبعث الحقد ودوافعه ، تشاغل عني بنفسه ، وران علينا صمت كئيب ، فما كان منه إلا أن باغتني باستفسار أعمي : ملبك يا بني .. قل لي فيه إيه ؟ .. أجبت وأنا ملتهب الحساسية : ما زلت أبحث عن طريقة تدرأ عني إستغلال الإنسان .. كيف امنع الغير عن استغلالني ؟ .. هه .. ماذا اصنع بالإنسان .. لن تستطيع أن تغير منه شيئا .. فالإنسان هو الإنسان من أيام عهد أبينا آدم عليه السلام ، ياه ، إذن علي أن أخلع أنيابه .. سيكون أول من يفترس الناس بأنياه هو أنت ستقوم من النوم في ثياب الرفاهية .. لتجد فمك ممتلئا بالأنياب الجديدة .. أنا ! لا تخف مني ، نسيت أن أقول لك .. إنني ولدت بغير أسنان ، لم تطلع لي سنة واحدة ، فقد كانت أمي مصابة بالبلاجرا .. ها ، هذا له .. وكشفت له عن فمي الأدرد ، بل غاليت في إقناعه بأنني (ليست لي جذور في الهبش والنبش) ومع هذا لم يرم إلا في أحضان الخوف هربا مني ! .. حقا ، هو يخاف مني ، وأنا أخشى علي نفسي منه .. والآخرون .. ربما يقفون من

بعضهم موقفا مشحونا بالتوتر المتسم بعدم الاطمئنان ، وهذه الحيلة - في الحق - أثقلت كاهلي ، و .. متى يحين الوقت لكي ارفضها .. فقط ، علي أن أصبح بملء عقيرتي ، حتى اثر انتباه الغير ، وامزق بأظافري أقنعتهم ، فيلتف حولي كتبة قلم الحسابات وخدمة قسم الشحن والبضائع ، بل سأجعل كل الناس يرون زيف علاقتهم .. متى .. الآن ، ما علي إلا أن أكاشف زميلي بحقيقته فأول الغيث قطرة ، هه ، ماذا في هذا؟ .. يومان جزاء ومذكرة ترفق بدوسيهي .. طظ .. ليكن ، فقط اقول كلمتي و ..

واجتزت باب المكتب ، فرفع زميلي رأسه المدفون في أحد الأدراج ، وشبك أطرافه ببعضها فوق مكتبه ؛ ثم سعد في النظر ولم تزد نغمته علي رتابتها :

- مالك يا ابني .. قل لي فيه إيه ؟

جلست في مقعدي المترب وأنا أتنحج لكي يصبح صوتي مرنا ثاقبا :

(اسمع) ..

قلت هذا واستخرجت من جيب سترتي كتابا وضعته أمامي ، فتناوله بتؤده ، ولم يابه لصرختي ، وكأنني لم أنفجر فيه بحدة ، اسمع ! أو كأن دمه الشرقي الحار قد أصابه (برود) إنجليزي ، بين راح يتصفح الكتاب ويقرأ سطورا منه بصرت مهموس ، يا للحياة ، وكيف تطبع الناس علي

أشكال عجيبة ، فقد وجه إلي الكلام في بشاشة كتلك التي افتقدتها منذ
أن وعيت ، وهو يشير إلي الكتاب :

- والنبى قل لي عن حكاية العبيط والأولاد .. والنبى ، آه ، من كلن
منكم بلا خطيئة ، والنبى ، أنت قرأتها ..

أجبت هزة من رأسى نفيا ، فناولني الكتاب وهو يربت علي ظهرى

- والنبى .. اقرأ لي فصلا ..

وقبل أن أحقق رغبتي بالرفض ، راعني أن بدا لي طفلا كبير القلب ،
تغمر وجهه السذاجة . تلك السذاجة الطفولية التي تنعش القلب الواجف
وتجعل الأمل موشك علي الوقوع وأن المعجزات ممكنة تحقيقها ، فأتمني أن
أعضه كطفل بانس .. يلهو تحت رذاذ المطر في فرح فطرى ؛ بيد أنه
استحثني وهو يلكرني في جنبى بود :

- ماذا تقول .. اقرأ ..

وترتعش الحروف تحت عيني . ويتهدج صوتي :

- لما كان الأمير قموتمشكين ..

وتذكرت أحاديثنا عن فيتنام وسيتاغو ، وعناوين جرائد صباح كل
يوم ، وإرتشافات القهوة ، والدفع الذى كان يلقنا معا ..

وقبل أن أنتهي من قرأتى ، فوجئت بدمعة تحدرت من عينه علي رماد

سيجارتته في (الطفاية) وهو يردد :

- كفى ، لقد تعذبت هذه الفتاة .. لا .. بل طهرها الألم ..

وصعد المدير السلم ، ارفف هو أذنيه ، كأنما ليتسمع آذان الظهر
الذى يجلس فوق منذنة جامع قريب ، فهل قال في سره (الصلاة واجبة)
.. ساعتها ، خشيت أن ينفلت مني ويهبط السلم وتملكه جميع الأبالسنة
ويصبح الألم حجرا معلقا في صدري و .. تملل هو في كرسيه ثم قال
قلبي: إلي أين ؟ .. وكأنما ادرك سر نظري ، فأحب أن يزِيل عني كل شك
فيه :

- الدخان تعب عيني .. راح أغسل وشي .

وخلال الدقائق التي غابها عني ، رحت أفتش عن فصل آخر في
الكتاب ، مع إحساسي الداخلي بأنني أخدع نفسي ولا أضع لها في كثير
من الأحيان الحلول السليمة ، وأظل أعمل ضد نفسي ، حتى وأنا أبش
رأسي بحثا عن تفصيلات بانسة وصور مريرة ، يمكن أن تكون قد مرت
بحياتي يوما ما ، فأحكيها له ..

جريدة العمال / ١٩٦٧

الفهرس

٧	- أغنية للعودة
١٥	- مشكلة المشكلة
٢٥	- أحلام ترانزستور
٣٣	- الذى فقد نظارته
٤١	- الناموس
٤٩	- سر الخشبة .. أو أصل اللعبة
٦١	- رجل واحد ينازع البقاء
٦٩	- مولد الذى ينتظر
٧٧	- النبى يموت فى جحره
٨٥	- ليس حلا